الهيئة العامة للأوقاف والشؤون الإسلامية
إدارة شؤون القرآن الكريم والسنة النبوية

سلسلة المناهج العلمية

١

المنهج العلمي

في أحكام التجويد وأصول رواية الإمام قالون

جمع وترتيب ومراجعة

لجنة إعداد المناهج العلمية

طبعة منقحة


المنهج العلمي
في أحكام التجويد
وأصول رواية الإمام قالون





دولة ليبيا

حكومة الوحدة الوطنية

الهيئة العامة للأوقاف والشؤون الإسلامية

إدارة شؤون القرآن الكريم والسنة النبوية

الطبعة الثانية

١٤٤٣هـ - ٢٠٢٢م

ردمك: 978-9959-58-025-2

رقم الإيداع: 327

طَبْعَةٌ مُنَقَّحَةٌ

للتواصل

مع إدارة شؤون القرآن الكريم والسنة النبوية، ولإبداء أي ملاحظة أو تنبيه، نأمل مراسلة الإدارة عبر الوسائل التالية:

- بريد إلكتروني: Quran@awqaf.gov.ly

- هاتف رقم: 0919994972









دولة ليبيا

حكومة الوحدة الوطنية

الهيئة العامة للأوقاف والشؤون الإسلامية

إدارة شؤون القرآن الكريم والسنة النبوية

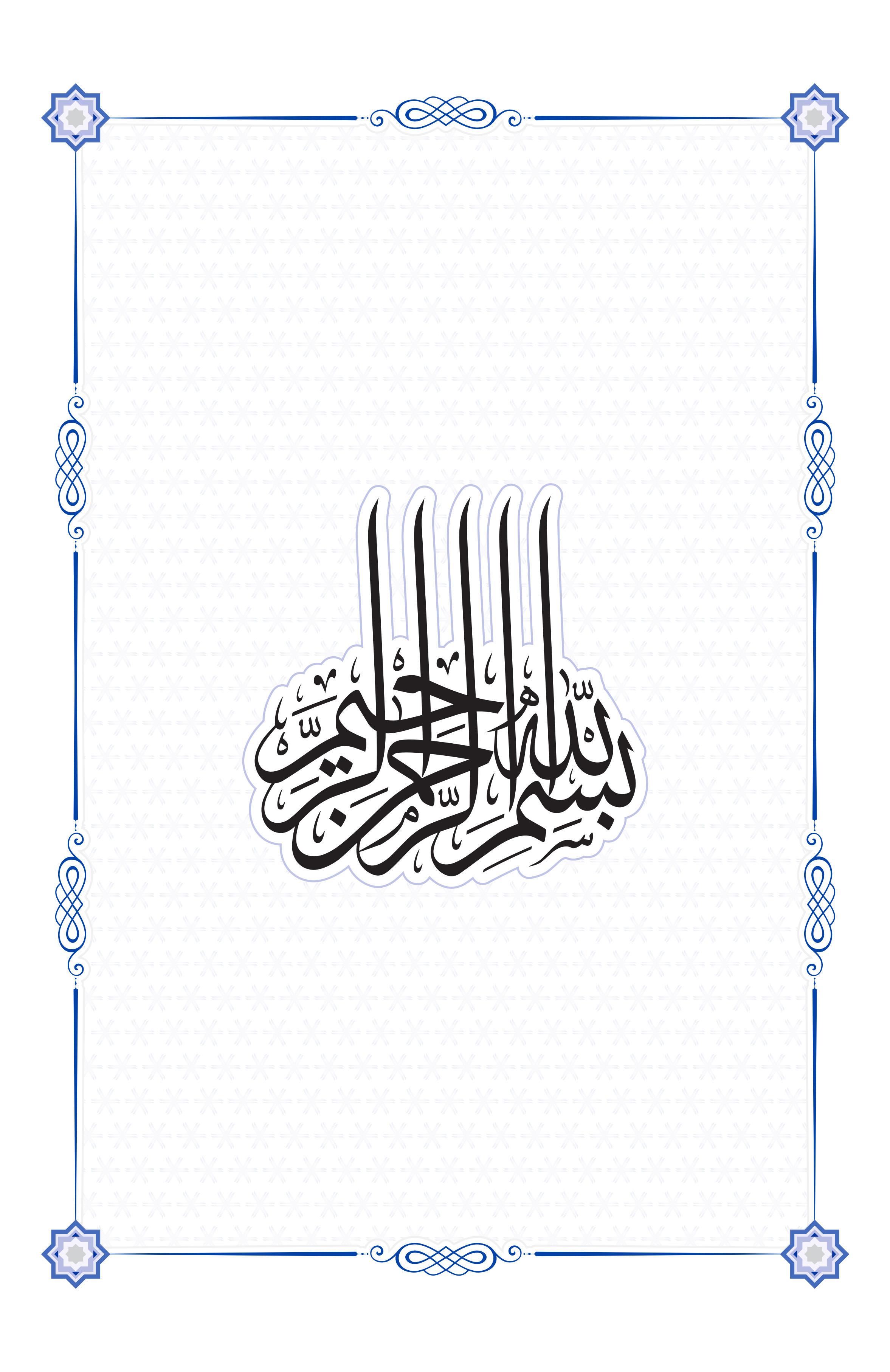


فِي أَحْكَامِ التَّجْوِيدِ

وَأُصُولِ رِوَايَةِ الإِمَامِ قَالُونَ






بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ أشرف الخلق أجمعين، سيدنا ونبينا محمد، وعلىٰ آله وصحبه والتابعين.

أما بعد: فلَمَّا كان طلابُ حِلَقِ تحفيظ القرآن الكريم بحاجةٍ ماسة إلى الإلمام بعلومه التي لا بد منها لقَارِئِيه ومُقْرِئيه، وحرصا من إدارة شؤون القرآن الكريم والسنة النبوية بالهيئة العامة للأوقاف والشؤون الإسلامية على الرُّقِيِّ بكيفية التدريس والتعليم لكتاب الله وعلومه، والرفعِ من مستوى المعلمين والمتعلمين؛ **كلَّفت** الإدارةُ لجنةً من المختصين لإعداد منهج معتمد مُوحَّد، يرجع إليه جميع الطلاب بمراكز تحفيظ القرآن الكريم، وهو في عمومه منهج مُيَسَّر، يساعد الطلاب علىٰ معرفة أهم القواعد والأحكام في بعض علوم القرآن الكريم التي لا بد للحفظة من الإحاطة بها.

من أجل ذٰلك قامت اللجنة – بعد التوكل على الله تعالىٰ – بإعداد منهج علمي يضم الفصول الآتية:

الفصل الأول: «آداب حملة القرآن الكريم».

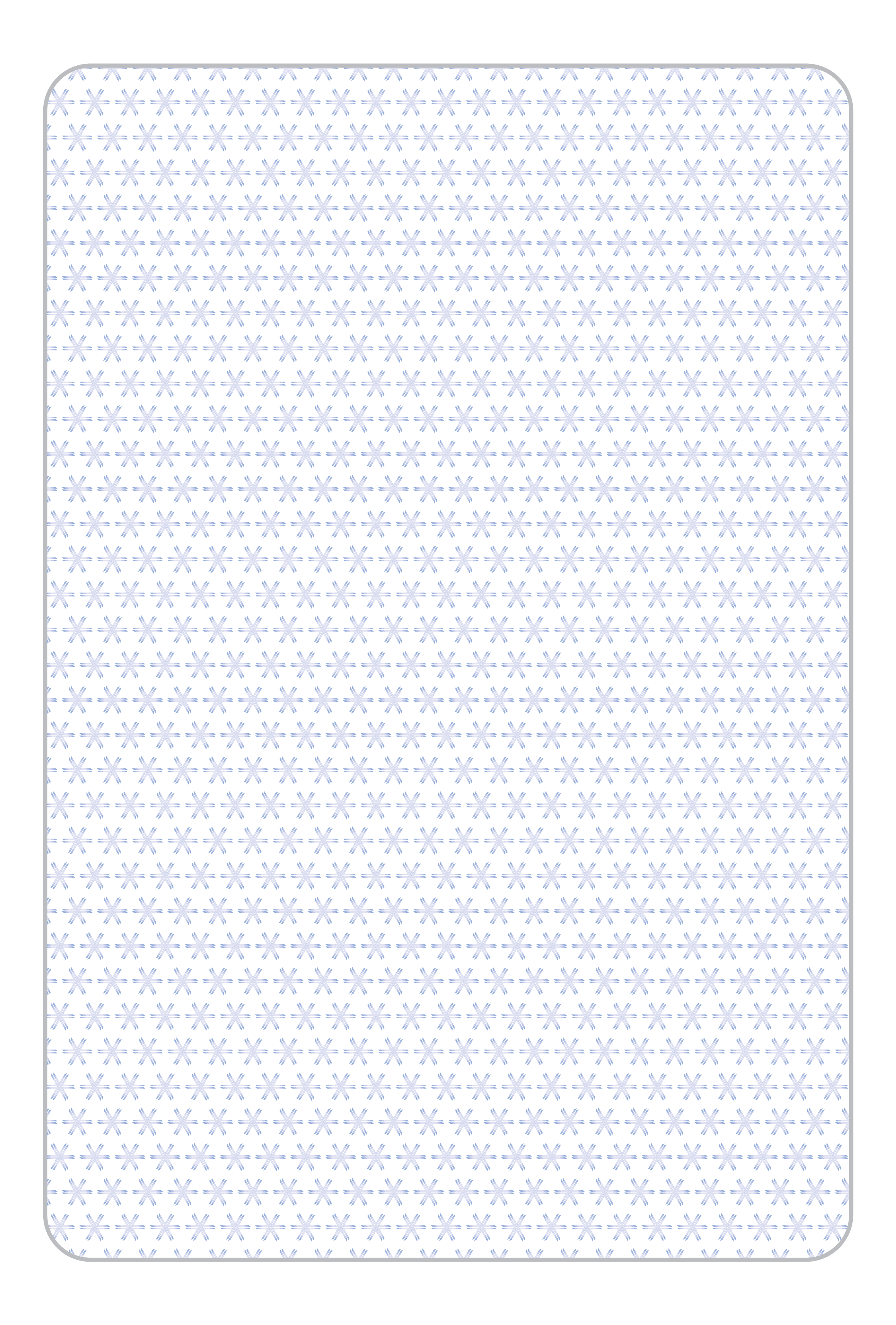
الفصل الثاني: «أحكام التجويد».

الفصل الثالث: «أصول رواية الإمام قالون».

واللجنة إذ تقدم عملها هٰذا، تدعو الله تعالىٰ أن يجعله خالصا لوجهه الكريم، وأن يكون موفيا بالغرض المطلوب، وأن يوفق أبناءنا الطلاب لفهمه والإفادة منه؛ إنه سميع مجيب.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

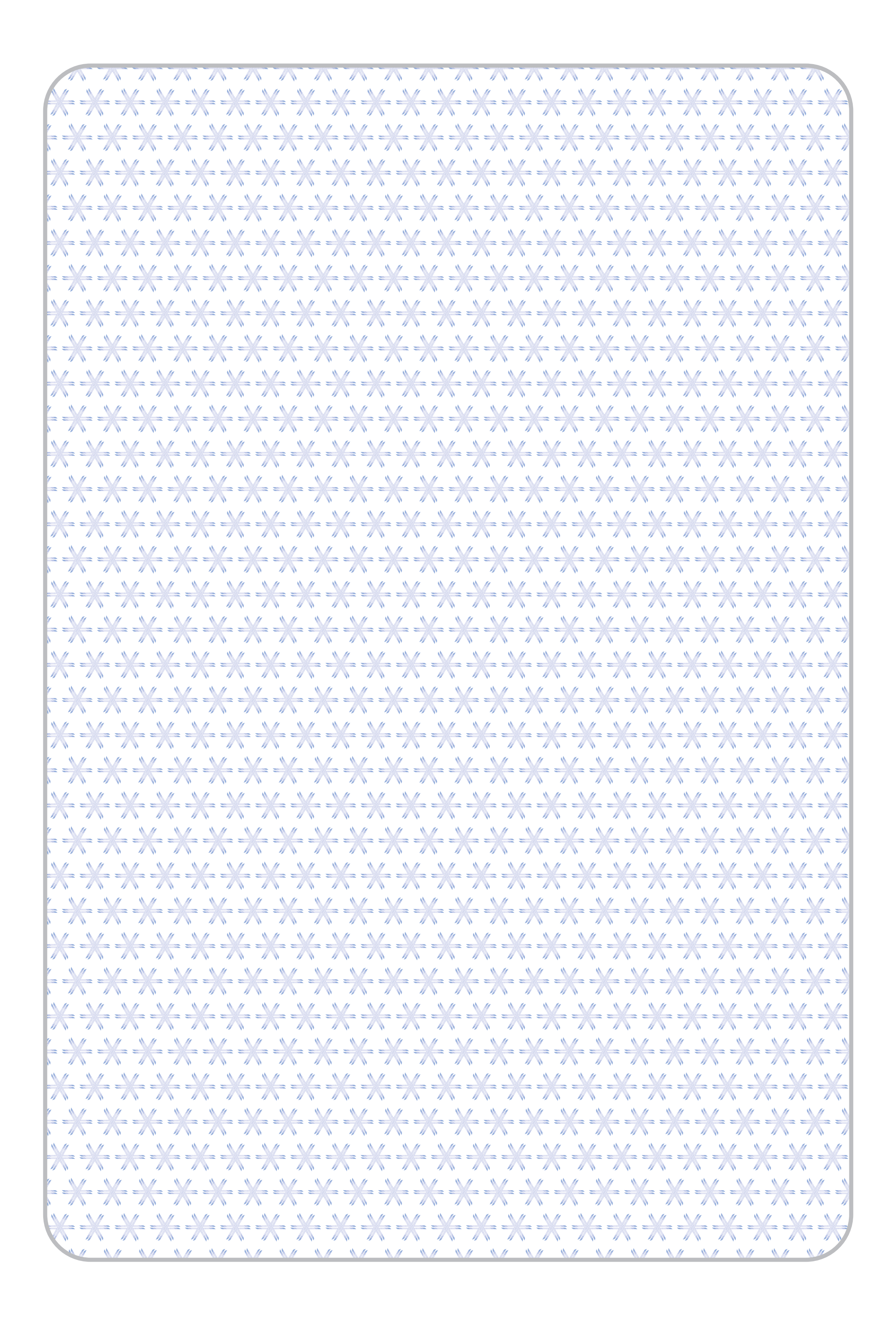
اللجنة العلمية لإعداد المناهج





الفصل الأول:

آداب حملة القرآن
للمعلم والمتعلم



آداب حملة القرآن للمعلم والمتعلم

المقدِّمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه والتابعين.

أما بعد: فإنَّ الله سبحانه لم يُنْزِلِ القرآنَ الكريم لتُتلىٰ حروفه، وتُحفظ كلماتُه فحسب، بل أنزله كي يتدبرَ المسلمُ آياته، ويفهم معانيَه، ويعمل بما فيه، كما قال تعالىٰ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾، [ص: ٢٩].

فالواجب على المسلم أن يقيم حدود كتاب الله، ويعظِّم أمره، ويتخلق بأخلاقه، ويتأدَّب بآدابه، عملًا بسنة النبي ﷺ، الذي كان خلقه القرآن الكريم، كما ينبغي له أن يمتثل أوامره، ويجتنب نواهيه؛ ليكون خير الناس دينًا، وعلمًا، وأدبًا، وسلوكًا.

وإن الناظر في أحوال القُرَّاء في هٰذا الزمان ليجد لديهم تهاونـًا في ذٰلك، فمنهم من لا يلتزم بآداب القرآن الكريم، بل إن همَّ بعضهم منصرفٌ إلىٰ إتمام حفظه، وإتقان تلاوته فحسب، ولا شك أن هٰذه مشكلة كبيرة، ومسألة مقلقة للمربين والمهتمين بتعليم كتاب الله.

وإتمامُ حفظ كتاب الله وإتقانُ تلاوته أمر جليل، وعمل كبير، لو حصّله الإنسان؛ لٰكن الاكتفاء بذٰلك والانصراف عما هو الأهم من التأدب بآداب القرآن الكريم، والتخلق بأخلاقه، والتقيد باتباع أوامره واجتناب نواهيه، والعمل بكل ما فيه، أمرٌ لا يجمُل بالمسلم الذي يطلب ثواب الله والدار الآخرة.

ولمكانة هٰذه الآداب في نفوس السابقين من أمة نبينا محمد ﷺ، انبرىٰ جمع من أهل العلم إلىٰ تأليف مؤلفات عدَّة في هٰذا المجال، من أهمها:

١. (أخلاق حملة القرآن)، للإمام: أبي بكر محمد بن الحسين الآجري، (ت: ٣٦٠هـ)، وهو أوَّلُ من ألف في هٰذا الباب، وكتابه مطبوع عدة مرات.

٢. (التبيان في آداب حملة القرآن)، للإمام: مُحيِي الدين يحيىٰ بن شرف النووي، (ت: ٦٧٦هـ)، وقد طبع هٰذا الكتاب عدة طبعات.

٣. (رسالة في آداب قراءة القرآن وكيفية نزوله وجمعه ورسمه)، للشيخ: علي بن محمد الأجهوري، (ت: ١٠٦٦هـ)، وهٰذا الكتاب طبع حديثًا.

وبناءً علىٰ ما ذُكر جمعنا هٰذه الورقات؛ لإرشاد طلبة القرآن الكريم إلى التأدُّب بآداب حَمَلَتِه، واجتهدنا في أن يكون الكلام مختصرًا مفيدًا حاويًا خلاصة ما لا يسع أبناءَنا الطلبة إغفالُه، وقسمناه إلىٰ فقرات، تضم الآتي:

أولًا: مفهوم آداب حملة القرآن الكريم:

المراد بآداب حملة القرآن الكريم: هو كلُّ ما ينبغي لقارئ القرآن الكريم التزامه، والتحلِّي به من الأخلاق والفضائل المحمودة، قولًا وفعلًا، ظاهرًا وباطنًا.

ثانيا: مكانة الآداب الفاضلة ومنزلة الأخلاق الحسنة في الإسلام:

للآداب الفاضلة والأخلاق الحسنة مكانتها العظيمة، ومنزلتها الرفيعة في ديننا الحنيف؛ لذا اهتمَّ سلف الأمة بهٰذه القضية، واشتغلوا بتربية أولادهم وتلاميذهم على التأدب بالآداب الإسلامية الحسنة غاية الاشتغال، وقاموا بذٰلك خير قيام؛ حتىٰ إنهم قدّموا تحصيلها علىٰ تحصيل العلم، قال الإمام مالك ﷺ: «كَانَتْ أُمِّي تُعَمِّمُنِي، وتَقُولُ لِي: اذْهَبْ إلىٰ رَبِيعَةَ فتَعَلَّم مِن أَدَبِهِ قَبلَ عِلْمِهِ»، [ترتيب المدارك: ١/ ١١٩]، وقال ابن المبارك ﷺ: «كَادَ الأَدَبُ يَكُونُ ثُلُثَي الْعِلْم»، [صفة الصفوة: ٤/ ١٢٠].

ثالثا: حكم التأدُّب بآداب حملة القرآن الكريم:

التأدُّبُ بهٰذه الآداب منه ما هو واجب، ومنه ما هو مستحب، فمن الواجب احترام القرآن وتعظيمه؛ عملا بقوله تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾، [الحج: ٢٨]، ومنها: عدم الاستهانة أو الاستخفاف به، وهو ما بيّنه القاضي عياض ﷺ، بقوله:

«وَاعْلَمْ أَنَّ مَنِ اسْتَخَفَّ بِالْقُرْآنِ، أَوِ الْمُصْحَفِ، أَوْ بِشَيْءٍ مِنْهُ، أَوْ سَبَّهُمَا، أَوْ جَحَدَهُ، أَوْ حَرْفًا مِنْهُ، أَوْ آيَةً، أَوْ كَذَّبَ به، أو بشيء منه... أو بِشَيْءٍ مِمَّا صُرِّحَ بِهِ فِيهِ مِنْ حُكْمٍ، أَوْ خَبَرٍ، أَوْ أَثْبَتَ مَا نَفَاهُ، أَوْ نَفَىٰ مَا أَثْبَتَهُ... عَلَىٰ عِلْمٍ مِنْهُ بِذَٰلِكَ، أَوْ شَكَّ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَٰلِكَ؛ فَهُوَ كَافِرٌ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ بِإِجْمَاعٍ»، [الشفا: ٢/ ٣٠٤].

ومن المستحب منها ما ذكره القرطبي - رحمه الله - في مقدمة التفسير، حيث قال: «ومِنْ حُرْمَتِهِ إِذَا وَضَعَ الْمُصْحَفَ أَلَّا يَتْرُكَهُ مَنْشُورًا، وَأَلَّا يَضَعَ فَوْقَهُ شَيْئًا مِنَ الْكُتُبِ؛ حَتَّىٰ يَكُونَ أَبَدًا عَالِيًا لِسَائِرِ الْكُتُبِ، عِلْمًا كَانَ أَوْ غَيْرَهُ، وَمِنْ حُرْمَتِهِ أَنْ يَضَعَهُ فِي حِجْرِهِ إِذَا قَرَأَهُ، أَوْ عَلَىٰ شَيْءٍ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَلَا يَضَعُهُ بِالْأَرْضِ، وَمِنْ حُرْمَتِهِ أَلَّا يَمْحُوَهُ مِنَ اللَّوْحِ بِالْبُصَاقِ، وَلَكِنْ يَغْسِلُهُ بِالْمَاءِ»، [مقدمة التفسير: ١/ ٢٨].

رابعًا: أهمية التأدب بآداب حملة القرآن الكريم:

إن من إجلال كتاب الله وتعظيم شأنه أن يتأدب حملته بآدابه، وأن يتخلقوا بأخلاقه؛ حتىٰ تتحقق فيهم الخيرية التي أخبر عنها رسول الله ﷺ بقوله: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»، [البخاري: ٥٠٢٧].

أما التلاوة الحقيقية للقرآن الكريم فهي إتْباعه بالعمل بما جاء فيه، كما قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾، [البقرة: ١٢٠]، قال مجاهد رضي الله عنه: «يَعْمَلُونَ بِهِ حَقَّ عَمَلِهِ»، [تفسير ابن جرير: ١/ ٤٩٠].

وقال ابن عبد البر – رحمه الله –: «وَحَمَلَةُ الْقُرْآنِ هُمُ الْعَالِمُونَ بِأَحْكَامِهِ وَحَلَالِهِ وَحَرَامِهِ، الْعَامِلُونَ بِمَا فِيهِ»، [التمهيد (بتصرّف): ١٧/ ٤٣٠].

فينبغي أن يكون حامل القرآن الكريم خيرَ الناس دينًا، وعلمًا، وأدبًا، وسلوكًا، فيلتزم بالفرائض والواجبات، ويحافظ على المندوبات، ويجتنب المحرمات، ويبتعد عن المكروهات قدر طاقته سواء أكان ذٰلك بالقول أم بالفعل، ظاهرًا أم باطنًا؛ حتىٰ يكون من أهل القرآن الكريم حقًّا، الذين هم أهل الله وخاصته.

وقد وردت نصوص كثيرة في بيان فضل تلاوة كتاب الله وحفظه والقيام به؛ من ذلك قول الله تعالى:﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ ۝٢٩ لِيُوَفِّيَهُمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ غَفُورٞ شَكُورٞ﴾، [فاطر: ٢٩- ٣٠]، قال القرطبي – رحمه الله –: «هَٰذِهِ آيَةُ الْقُرَّاءِ الْعَامِلِينَ الْعَالِمِينَ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ الْفَرْضَ وَالنَّفْلَ، وَكَذَا فِي الْإِنْفَاقِ...»، [تفسير القرطبي: ١٤/ ٣٤٥].

فقد وردت هٰذه الفضائل في هٰذه الآية، مقيدة بشرط العمل به، وهو ما بينه حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يُؤْتَىٰ بِالْقُرْآنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَهْلِهِ الَّذِينَ كَانُوا يَعْمَلُونَ بِهِ، تَقْدُمُهُ سُورَةُ الْبَقَرَةِ، وَآلِ عِمْرَانَ**»، [مسلم، ٢٥٣]، فخصَّهم، وقيدهم بالعمل بما فيه.

خامسا: آداب حملة القرآن الكريم:

فيما يأتي بيان لجملة من هٰذه الآداب التي علىٰ حملة القرآن الكريم أن يلتزموا بها في تعلُّمه وتلاوته:

١ – الإخلاص لله، والحذر من إرادة الدنيا بالقرآن الكريم:

إن أول ما ينبغي للمُقْرئ والقارئ أن يقصِدَا بتعليم القرآن الكريم وتعلمه رضا الله – سبحانه –، فهو القائل: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾، [البينة: ٥]، أي: الملَّة المستقيمة، وفي الصحيحين [البخاري: ١، ومسلم: ١٩٠٧]، عن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَىٰ**»، فهٰذا الحديث من أصول الإسلام، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «لَقَدْ أَتَىٰ علينا حِينٌ وَمَا نَرَىٰ أَنَّ أَحَدًا يَتَعَلَّمُ الْقُرْآنَ يُرِيدُ بِهِ إِلَّا اللَّهَ، فَلَمَّا كَانَ هَاهُنَا بِأَخَرَةٍ خَشِيتُ أَنَّ رِجَالًا يَتَعَلَّمُونَهُ يُرِيدُونَ بِهِ النَّاسَ وَمَا عِنْدَهُمْ، فَأَرِيدُوا اللَّهَ بِقُرْآنِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ»، [أخلاق أهل القرآن، للآجري: ٤٣]، قال الآجري – بعد ذكره لهٰذا الأثر –: «فإذا كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد خاف علىٰ قوم قرءوا القرآن في ذٰلك الوقت بميلهم إلىٰ الدنيا؛ فما ظنك بهم اليوم؟!»، [أخلاق أهل القرآن: ٤٣].

٢- المتابعة لقراءة النبي ﷺ:

بأن يقرأ على الصفة المأخوذة عنه ﷺ، التي أُمر بها في قوله تعالىٰ: ﴿ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴾، [المزمل: ٤]. وقد سُئِل أنس ﷺ: كيف كانت قراءة النبي ﷺ؟ فقال: «كانت قراءته مدًّا، ثم قرأ: بسم الله الرحمٰن الرحيم؛ يمد بـ(بسم الله)، ويمد بـ(الرحمٰن)، ويمد بـ(الرحيم)»، [البخاري: ٥٠٤٦]، فمَن خالف هٰذه الكيفية أو أهملها فقد خالف السنة، وقرأ القرآن بغير ما أنزل الله تعالىٰ؛ لذا على القارئ أن يتجنّب التمطيط والترعيد، وتكلّف القراءة بالمقامات والألحان الموسيقية مما لا يليق بكلام الله تعالىٰ.

٣- احترام المعلم وتوقيره:

من الآداب المتأكِّدة في حق متعلم القرآن الكريم أن ينظر إلىٰ معلمه بعين الاحترام والتقدير، وأن يتأدب معه قولًا وفعلًا في حضوره وغيبته؛ فإن ذٰلك مما يعين علىٰ الانتفاع به، [التبيان: ٥٤].

وقد بيّن الله لنا كيف كان تعامل موسىٰ عليه السلام وهو نبي مرسل مع معلمه، فقال: ﴿ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ ﴾، [الكهف: ٦٥]، وهٰذا سؤال الملاطف المبالغ في حسن الأدب، قال القرطبي: «فيه من أدب الفقه: التذلل، والتواضع للعالم، وبين يديه، واستئذانه في سؤاله، والمبالغة في احترامه وإعظامه، ومن لم يفعل هٰكذا فليس علىٰ سنة الأنبياء ولا علىٰ هديهم»، [المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم: ١٩/ ١١٣].

فاحترام المعلم ورعاية حقه توفيق وهداية، وهو من إجلال الله سبحانه وتعالىٰ، لقول النبي ﷺ: «إن من إجلال الله؛ إكرام ذي الشيبة المسلم، وحامل القرآن غير الغالي فيه ولا الجافي عنه، وذي السلطان المُقسِط»، [أبو داود: ٤٨٤٣، وحسنه الألباني]، قال ابن مفلح: «وَيَنْبَغِي احْتِرَامُ الْمُعَلِّمِ وَالتَّوَاضُعُ لَهُ، وَكَلَامُ الْعُلَمَاءِ فِي ذَلِكَ مَعْرُوفٌ... وَقَدْ قَالَ ابْنُ حَزْمٍ: اتَّفَقُوا عَلَىٰ إيجَابِ تَوْقِيرِ أَهْلِ الْقُرْآنِ... وَذَكَرَ بَعْضُ الشَّافِعِيَّةِ أَنَّ حَقَّهُ آكَدُ مِنْ حَقِّ الْوَالِدِ؛ لِأَنَّهُ سَبَبٌ لِتَحْصِيلِ الْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ، وَالْوَالِدُ سَبَبٌ لِحُصُولِ الْحَيَاةِ الْفَانِيَةِ»، [الآداب الشرعية: ١/ ٤٤٠].

٤ – احترام المصحف وتعظيمه:

إن أعلىٰ مقامات الأدبِ الأدبُ مع الله تبارك وتعالىٰ، ومِن الأدبِ مع الله الأدَبُ مع كِتابه، ذٰلك أن القرآن هو كلام الله، مِنه بَدأ، وإليه يَعود؛ فينبغي للمسلم خاصة حاملَ القرآن احترامُ المصحف وتعظيمه، قالَ النوويُّ: «أجْمَعَ المسلمونَ علىٰ وُجوبِ تعظيمِ القرآنِ العزيزِ على الإطلاقِ، وتَنْزِيهِهِ وصِيَانَتِهِ»، [التبيان: ١٦٤]؛ فتعظيم المصحف هو من تعظيم شعائر الله، قال سبحانه: ﴿ذَٰلِكَۖ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَآئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِۖ﴾، [الحج: ٣٢].

ومن أوجه تعظيم المصحف واحترامه ما يأتي:

أ- ألا يُمَسَّ المصحفُ إلا علىٰ طهارة تامة:

يُستحب للقارئ أن يقرأ القرآن وهو علىٰ طهارة، وإن لم يمس المصحف، فإن قرأ محدثًا حدثا أصغر جاز بإجماع المسلمين، كما ينبغي حثُّ الطفل الصغير غير المميز على التطهر لِمَسِّ القرآن الكريم، وترغيبه في ذٰلك، وبيان حكم ذٰلك وحكمته. [ينظر: الاستذكار: ٨/ ١١، وأحكام القرآن، لابن العربي: ٤/ ١٧٣٨، والتبيان: ٧٣، والأحكام الخاصة بالقرآن: ٧٩].

ب- عدم الدخول بالمصحف لمكان قضاء الحاجة (دورة المياه):

لا يجوز الدخول بالمصحف إلىٰ مكان قضاء الحاجة؛ صيانة له من القذر والدنس، [الأحكام الفقهية الخاصة بالقرآن الكريم: ٢٤].

ج – عدم وضع الأوراق التالفة من المصحف في سلة المهملات:

على المسلم أن يحتسب في التخلص من الأوراق التالفة من المصحف بالطرق المشروعة؛ إما بحرقها، أو بدفنها في مكان طاهر، أو بإعطائها لمن يقوم بذٰلك من المسلمين، فقد ثبت أن عثمان رضي الله عنه قام بإرسال المصاحف التي أجمع عليها الناسُ إلى الأمصار، وأمرَ بحرق المصاحف الأخرىٰ؛ حتىٰ لا يلتبس على الناس أو يحصل الخطأ، كما صح ذٰلك عنه. [البخاري: ٤٩٨٧].

د- كراهة تقبيل المُصحف:

كره العلماء تقبيل المصحف، فحكىٰ ابن الحاج الكراهة عن المالكية بقوله: «كَرِهَ عُلَمَاؤُنَا - رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ - التَّمَسُّحَ بِالْـمُصْحَفِ إِلَىٰ غَيْرِ ذَٰلِكَ مِمَّا يُتَبَرَّكُ بِهِ؛ سَدًّا لِهَٰذَا الْبَابِ وَلِمُخَالِفَةِ السُّنَّةِ؛ لِأَنَّ صِفَةَ التَّعْظِيمِ مَوْقُوفَةٌ عَلَيْهِ ﷺ، فَكُلُّ مَا عَظَّمَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نُعَظِّمُهُ، وَنَتَّبِعُهُ فِيهِ، فَتَعْظِيمُ الْـمُصْحَفِ قِرَاءَتُهُ، وَالْعَمَلُ بِمَا فِيهِ لَا تَقْبِيلُهُ وَلَا الْقِيَامُ إِلَيْهِ»، [المدخل:١/ ٢٦٣]، وقال النفراوي: «وَنَصُّوا هُنَا عَلَىٰ كَرَاهَةِ تَقْبِيلِ الْـمُصْحَفِ»، [الفواكه الدواني: ١/ ٣٥٦]؛ وذٰلك لعدم ورود شيء في ذٰلك، قال ابن تيمية: «القيام للمصحف وتقبيله لا نعلم فيه شيئًا مأثوراً عن السلف، وقد سئل الإمام أحمد عن تقبيل المصحف فقال: ما سمعت فيه شيئًا»، [مجموع الفتاوىٰ: ٢٣/ ٦٥].

هـ- التعامل مع المصاحف المسجلة والحاسوبية:

ينفرد هٰذا النوع من المصاحف عن غيره بأنه لا يأخذ حكم المصحف الورقي، لٰكن الأَوْلىٰ صيانتها والعناية بها.

٥- الالتزام بآداب التلاوة:

لقد أوصى الله - عز وجل - بتلاوة كتابه وترتيل كلامه فقال: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾، [المزمل: ٤]، وترتيل القرآن وتلاوته فيه أجر عظيم.

وكذٰلك له آداب ينبغي لقارئه التجمّل بها، ومن تلك الآداب:

أ- القراءة في المصحف، والنظر فيه، وعدم هجره:

القراءة في المصحف والنظر فيه من الآثار الواردة عن أهل العلم، يقول ابن كثير: «فَهَٰذِهِ الْآثَارُ تَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ هَٰذَا أَمْرٌ مَطْلُوبٌ؛ لِئَلَّا يُعَطَّلَ الْـمُصْحَفُ، فَلَا يُقْرَأُ مِنْهُ، وَلَعَلَّهُ قَدْ يَقَعُ لِبَعْضِ الْحَفَظَةِ نِسْيَانٌ فَيَتَذَكَّرُ مِنْهُ، أَوْ تَحْرِيفُ كَلِمَةٍ أَوْ آيَةٍ أَوْ تَقْدِيمٌ أَوْ تَأْخِيرٌ، فَالِاسْتِثْبَاتُ أَوْلَىٰ، وَالرُّجُوعُ إِلَى الْـمُصْحَفِ أَثْبَتُ مِنْ أَفْوَاهِ الرِّجَالِ»، [فضائل القرآن: ٢١١].

ب- تعاهد القرآن الكريم بالمراجعة طيلة العام، وحكم من نُسِّيَ آية أو نحوها منه:

من المعلوم أن القرآن الكريم سريع التَّفَلُّت؛ لذا يجب على قارئه وحافظه أن يتعاهده بالتلاوة آناء الليل وأطراف النهار، كما قال النبي ﷺ: «**تَعَاهَدُوا القُرْآنَ، فَوَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَهُوَ أَشَدُّ تَفَصِّيًا مِنَ الإِبِلِ فِي عُقُلِهَا**»، [البخاري: ٥٠٣٣]، ومعنى: «**تَعَاهَدُوا القُرْآنَ**»: واظبوا عليه بالتلاوة والحفظ، ومعنى: «**عُقُلِهَا**»: جمع عِقال، وهو الحبل.

كما ينبغي لمن نُسِّيَ آية أو سورة أن يقول: نُسِّيت -بضم النون، وتشديد السين-؛ لحديث ابن مسعود رضي الله عنه، قال: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**بِئْسَ مَا لِأَحَدِهِمْ أَنْ يَقُولَ: نَسِيتُ آيَةَ كَيْتَ وَكَيْتَ، بَلْ نُسِّيَ، وَاسْتَذْكِرُوا القُرْآنَ؛ فَإِنَّهُ أَشَدُّ تَفَصِّيًا مِنْ صُدُورِ الرِّجَالِ مِنَ النَّعَمِ**»، [البخاري: ٥٠٣٢]، لا أن يقول نَسِيتُهَا. قال النووي: «وَإِنَّمَا نُهِي عَنْ (نَسِيتُهَا)؛ لِأَنَّهُ يَتَضَمَّنُ التَّسَاهُلَ فِيهَا، وَالتَّغَافُلَ عنها»، [شرح مسلم: ٦/ ٧٦].

ج - تجويد القراءة وإتقان التلاوة:

ينبغي لقارئ القرآن الكريم أن يُتقن القراءة، وأن يلتزم بأحكام التجويد المعروفة التي قررها العلماء، كما يستحسن للقارئ والمتعلم أن يحفظ أحد المتون المؤلفة في هذا العلم كـ«تُحفةِ الأطفالِ والغِلمَان»، للجمزُوري، ومُقدمَة ابن الجزري رحمهما الله، ويبحث عن قارئ متقنٍ يقرأ عليه؛ ليُقوّم اعوجاج قراءته، ويستعين على ذلك بالسماع لكبار القراء؛ حتى يُتقن، ويتخلّص من عيوب النُّطق وأخطاء الأداء، كذلك يُستحبُّ له أن يُحسّنَ صَوته بتلاوة كتاب الله؛ لما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**مَا أَذِنَ اللَّهُ لِشَيْءٍ كَأَذَنِهِ لِنَبِيٍّ يَتَغَنَّى بِالْقُرْآنِ يَجْهَرُ بِهِ**»، [مسلم: ١٣٢٠]، قال ابن كثير: «ومعناه أَنَّ اللهَ تعالى مَا اسْتَمَعَ لِشَيْءٍ كَاسْتِمَاعِهِ لِقِراءَةِ نَبِيءٍ يَجْهَرُ بِقِراءَتِهِ وَيُحَسِّنُها...»، [فضائل القرآن: ١٧٩].

د - سجود التلاوة:

من آداب التلاوة أنه يشرع لقارئ القرآن الكريم، والمستمع إليه، إذا مرَّا بآية فيها سجدة أن يسجدا سجود التلاوة، وهذه السجدات معروفة في المصاحف؛ حيث وُضِعَت فيها علامات تُوضِّح مواضعها.

وقد اختلف العلماء فيها، فحدَّها الإمام مالك بإحدىٰ عشرة سجدة، قال: «الأمر عندنا أن عزائم سجود التلاوة إحدىٰ عشرة سجدة، ليس في المفصَّل منها شيء»، [شرح الزرقاني على موطأ مالك: ٢/ ٢٣]، والمفصل يبدأ من سورة الحجرات، وينتهي بسورة الناس، والناظر في المصاحف المطبوعة بقراءة نافع، براوييه: (قالون، وورش)، يجدها تعتمد قول الإمام مالك، وبذلك تخرج عندنا سجدات سور: «النجم، والانشقاق، والعلق، وكذلك السجدة الثانية من سورة الحج»، فلا سجود فيها.

هـ - تدبُّر القرآن وفهمه:

لِتَدَبُّرِ كلام الله الأثر الكبير علىٰ سلوك القارئ وأخلاقه، قال الآجري مُبينًا صفة حامل القرآن الكريم: «إذا درَّس القرآن، فبحضور فهمٍ وعقلٍ، هِمّته إيقاع الفهم لما ألزمه الله من اتباع ما أمر، والانتهاء عما نهىٰ، ليس هِمّته متىٰ أختم السورة...»، [آداب حملة القرآن: ٦٠، وما بعدها].

و - عدم التمايُل والاهتزاز عند قراءة القرآن الكريم:

قال ابن البنّاء: «باب العُيُوب الفظيعة في النَّفس التي يجب أن يجتنبها القارئُ حين القراءة والدرس، من ذلك: تحريك الرأس عن يمين وشمال؛ كالالتفات، أو تحريكه بزعزعة من سُفل إلىٰ علو، ومن علو إلىٰ سُفل، كالإيماء بـ(نعم) أو (لا) في المخاطبات». [العيوب التي يجب أن يتجنبها القارئ: ٣٦].

وقد خصَّ ابن أبي زيد القيرواني: (ت: ٣٨٦هـ) هذه المسألة في مؤلف سمَّاه: «كتاب من تحرّك عند القراءة».

ز - ترك المداومة علىٰ ختم التلاوة بـ«صدق الله العظيم»:

الالتزام بذلك والمداومة عليه أمر غير مشروع؛ لأن العبادة توقيفية، ولم يثبت في ذلك شيء عن النبي ﷺ، ولا عن أصحابه رضي الله عنهم. [ينظر: البدع العملية المتعلقة بالقرآن الكريم: ٣٥٦، وما بعدها].

سادسا: الوسائل المعينة على العمل بالقرآن الكريم:

بعد سرد جملة من الآداب التي ينبغي أن يتحلّىٰ بها حملة القرآن الكريم، لا بد من الاستعانة بعد الله سبحانه بالوسائل التي تعين حملة كتاب الله على العمل بهٰذه الآداب، وتحملهم علىٰ إلزام أنفسهم باتّباع ما نصت عليها. ومن أهم هٰذه الوسائل:

١. **تعليم الطالب آداب حملة القرآن الكريم**: قال النووي: «ومن النصيحة لكتاب الله بيان آداب حملته وطلابه، وإرشادهم إليها، وتنبيههم عليها»، وقال أيضًا: «ينبغي أن يبذل النصيحة للمتعلم؛ فإن رسول الله ﷺ قال: «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ: لِلَّهِ، وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَعَامَّتِهِمْ**»، [رواه مسلم: ٥٥]. ومن النصيحة لله تعالىٰ ولكتابه؛ إكرام قارئه وطالبه، وإرشاده إلىٰ مصلحته، والرفق به، ومساعدته علىٰ طلبه بما أمكن، وتأليف قلب الطالب، وأن يكون سمحًا بتعليمه في رفقٍ، متلطفًا به، ومحرضًا له على التعلُّم، وينبغي أن يذَكِّرَه فضيلةَ ذٰلك؛ ليكون سببًا في نشاطه، وزيادةً في رغبته، ويزهِّده في الدنيا، ويصرفه عن الركون إليها والاغترار بها»، [التبيان: ١٠، ٣٩].

٢. **وجود القدوات من المعلمين الأَكْفَاءِ**: ينبغي لمقرئ القرآن الكريم أن يكون قدوة حسنة وأسوة طيبة لتلاميذه؛ فإن كثيرًا من الأخلاق الحسنة تُكْتسبُ بالتأسي والاقتداء، لاسيما من الأكابر كالوالِدَيْن والمعلمين والمحفِّظين.

٣. **قراءة سير القُرَّاء من السلف الصالح**: إن معرفة أخبار الأئمة المتبوعين والقراء العاملين والسلف الصالحين الذين تمسَّكوا بالقرآن الكريم واهتدوا بهداه وتأثروا بمواعظه وعملوا بأوامره وانتهوا عن نواهيه؛ لها أكبر الأثر في تهذيب السلوك، وتربية النفس، وتهذيب الأخلاق. ومن أمثلة ذٰلك ما حصل مع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، لما قال له عيينة بن حصن: «هِيْ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، وَاللَّهِ مَا تُعْطِينَا الْجَزْلَ، وَلَا تَحْكُمُ بَيْنَنَا بِالْعَدْلِ»، فَغَضِبَ عُمَرُ حَتَّىٰ هَمَّ أَنْ يُوقِعَ بِهِ، فَقَالَ لَهُ الْحُرُّ: «يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ اللَّهَ ﷻ قَالَ لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ۝١٩٩﴾، [الأعراف: ١٩٩]، وَإِنَّ هَذَا مِنَ الْجَاهِلِينَ»، قَالَ: «فَوَ اللَّهِ مَا جَاوَزَهَا عُمَرُ حِينَ تَلَاهَا عليه،

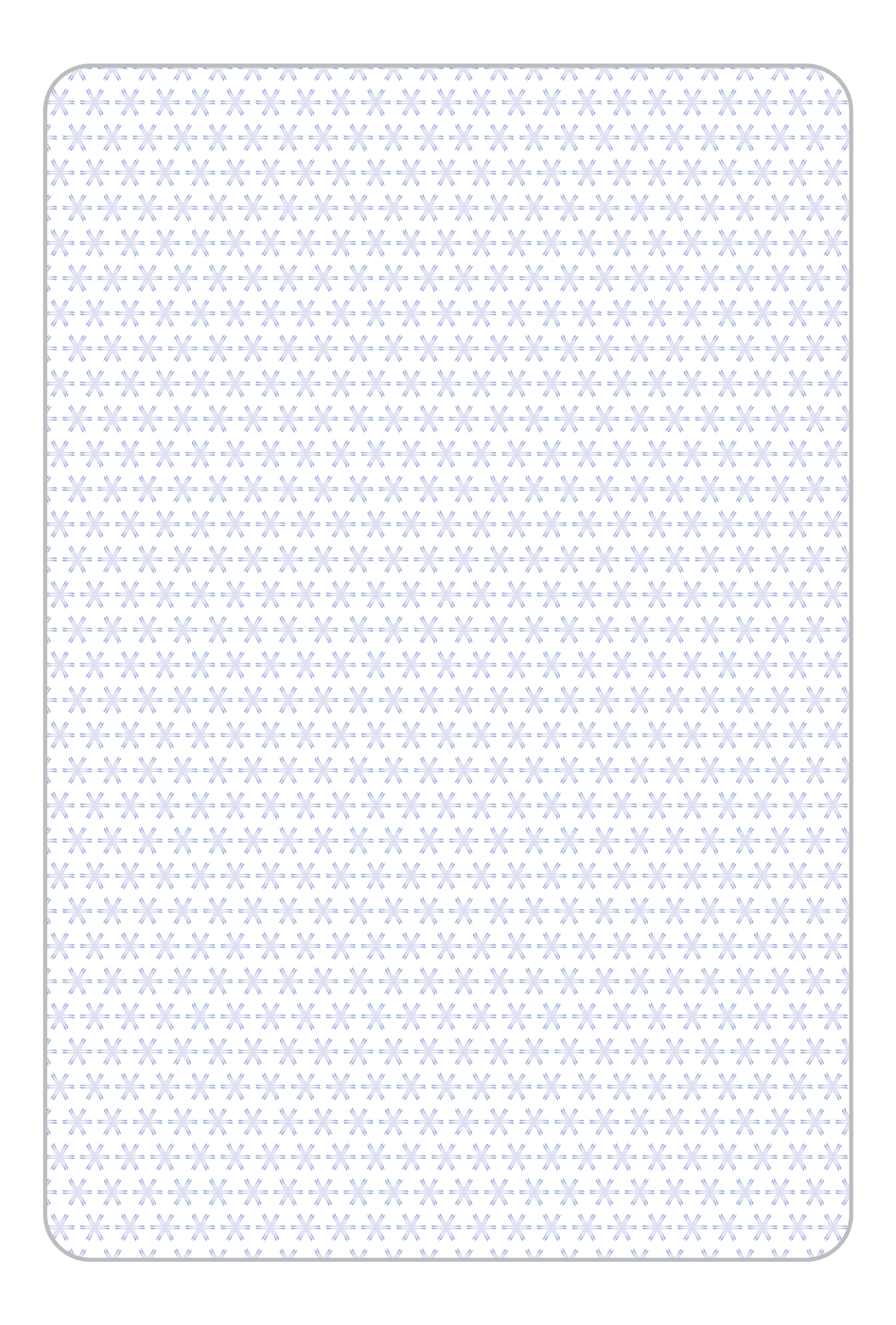
وَكَانَ وَقَّافًا عِنْدَ كِتَابِ اللَّهِ»، [البخاري: ٤٦٤٢]. ولم تكن النساء أقل درجة من الرجال في تعظيم أوامر القرآن الكريم وسرعة الاستجابة له، فعن عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: «يَرْحَمُ اللَّهُ نِسَاءَ المُهَاجِرَاتِ الأُوَلَ، لَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾، [النور:٣١]، شَقَّقْنَ مُرُوطَهُنَّ فَاخْتَمَرْنَ بِهَا»، [البخاري: ٤٧٥٨].

سابعا: تنبيهات:

١- مما ينبغي التنبيه عليه وجوب احترام كلام الله وتقديسه وإجلاله، فلا يجوز أن تجعل آيات القرآن الكريم المسجلة نغمات للهواتف الجوالة، وبذلك أفتى مجمع الفقه الإسلامي التابع لرابطة العالم الإسلامي، في دورته التاسعة عشرة. [ينظر: المصحف الإلكتروني وأحكامه الفقهية المستجدة، للدكتور: رابح دفرور، ص: ١٢- ٢٥].

٢- ينبغي لقارئ القرآن الحذر من القول في تفسير كلام الله بغير علم، فقد حذر الله تعالىٰ من ذلك بقوله :﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰناً وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ۝﴾، [الأعراف:٣١]، كما حذَّر أهل العلم من ذلك، قال النووي رحمه الله: «ويحرم تفسيره بغير علم، والكلام في معانيه لمن ليس من أهلها، والأحاديث في ذلك كثيرة والإجماع منعقد عليه». [التبيان: ١٦٥].

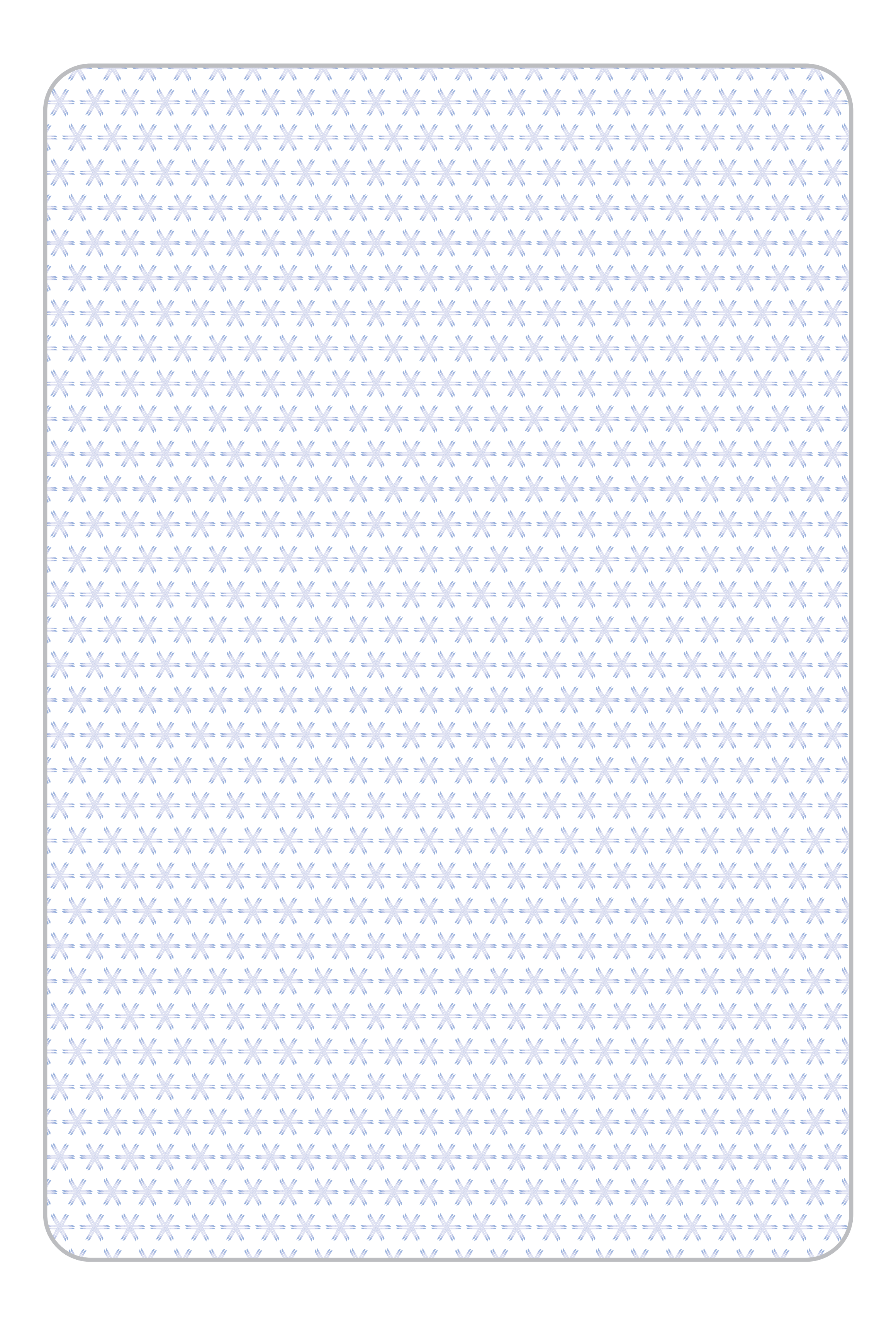






الفصل الثاني:

أحكام التجويد



أحكام التجويد

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه الكريم: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾، والصلاة والسلام الأتمان علىٰ نبيه الأمين، القائل فيما صح عنه: «الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ»، الحديث، وعلىٰ آله وصحبه ومن اقتدىٰ به إلىٰ يوم البعث والنشور.

أما بعد، فهٰذا مختصر في علم تجويد القرآن العظيم، ذكرنا فيه أهم مباحث هٰذا العلم، وأضفنا إليه بعض المباحث المهمة التي يَحْسُنُ بطالبه معرفتُها واستيعابُها، ولم نَرُمْ فيه البسط والتطويل، والحشو وكثرة التقاسيم؛ ليكون مرجعا ميسرا، قريبا من معلم القرآن الكريم ومتعلمه علىٰ حد سواء، فجاء - بتوفيق الله - وسطا يناسب أغلب المطالعين، وأكثر المستفيدين.

وتيسيرا لأبنائنا الطلاب فهمَ منهج التجويد ألحقنا به مبحثا خاصًّا بالمتون العلمية، يشمل متن: «تحفة الأطفال والغلمان في تجويد القرآن»، للشيخ سليمان الجمزوري، وبابَي: «المخارج، والصفات»، من متن: «المقدمة الجزرية»، للإمام محمد بن محمد الجزري.

وإذ نقدم هٰذا المختصر فإننا نشكر كل من أسهم في إخراجه، وقام علىٰ مراجعته وتدقيقه، ونشكر القائمين علىٰ إدارة شؤون القرآن الكريم والسنة النبوية بالهيئة العامة للأوقاف علىٰ دعمهم وحرصهم علىٰ نشر الخير.

وما كان في هٰذا العمل من صواب فهو بمحض توفيق الله تعالىٰ، وحسن تيسيره، وما كان غير ذٰلك، فنستغفر الله العظيم منه.

لجنة إعداد المناهج



تمهيـــد

مبادئ علم التجويد:

جرت عادة العلماء أن يعرّفوا طالب العلم بمبادئ العلم الذي هو بصدد دراسته؛ حتىٰ يتبين ويتكشّف معالمَ ذٰلك العلم، ويتعرَّف إلىٰ ما يرمي إليه من أهداف وغايات، وقد نظم بعضُهم تلك المبادئَ حتىٰ تبقىٰ ماثلة في ذهن الطالب، يَرجِع إليها في كل فن من الفنون، وجمعها في قوله:

إِنَّ مَبَـــادِي كُلِّ فَـنٍّ عَشَـــرَهْ ... الْحَدُّ، وَالْمَوْضُـــوعُ، ثُـمَّ الثَّمَرَهْ
وَفَضْـــلُهُ، وِنِسْبَـــةٌ، والْوَاضِـعْ ... وَالِاسْمُ، الِاسْتِمْدَادُ، حُكْمُ الشَّارِعْ
مَسَائِلٌ، وَالْبَعْضُ بِالْبَعْضِ اكْتَفَىٰ ... وَمَـن دَرَى الْجَمِيعَ حَـازَ الشَّـرَفَا

وفيما يأتي شرح موجز لأهم مبادئ علم التجويد:

أولا: حد علم التجويد (تعريفه): التجويد لغة: يقصد به التحْسِين، أي: جعل الشيء جيدا، والاسم منه الجودة.

وَاصطلاحًا: إعطاءُ الحرف حَقَّه ومُسْتَحَقَّهُ، وردُّه إِلَىٰ مخرجِه وأصلِه، وتلطيفُ النطق بإكمال هيئته من غير إسراف ولا تعسف، ولا إفراط ولا تكلف.

ثانيا: موضوعه: الكلمات القرآنية، من حيث كيفيةُ أداء حروفها حال تركيبها.

ثالثا: فائدته: صون اللسان عن اللحن فِي قراءة كلام الله – عز وجل –، **وغايته**: الطمعُ في وعد الله تعالىٰ لمن أتقن قراءتَه وحسَّن لفظَه، وكذٰلك الفوزُ بسعادة الدارين.

رابعا: فضله: علم التجويد من أشرف العلوم وأفضلها؛ لتعلقه بأعظم الكلام، وهو القرآن الكريم.

خامسًا: نسبته: هو أحد العلوم الشرعيَّة المتعلِّقة بكتاب الله سبحانه وتعالىٰ.

سادسا: واضعه: أئمة القراءة، وقيل: أبو عمر حفص بن عمر الدوري رحمه الله الذي روىٰ القراءة عن أبي عمرو بن العلاء والكسائيّ.

سابعا: اسمه: علم التجويد.

ثامنا: استمداده: مِن قراءة النبي ﷺ وقراءة أصحابه رضي الله عنهم المنقولة إلينا بالتواتر.

تاسعا: حكمه: العلم بمسائله فرض كِفاية، والعمل به أداءً فرضُ عين على المستطيع،

كما يذهب إليه أكثر القراء، ويرىٰ بعض الفقهاء أن العمل بالتجويد مستحب فقط، والأقرب وجوبُه؛ لدلالة كثير من الآثار علىٰ ذٰلك.

عاشرا: مسائله: قواعده وقضاياه الكلية والجزئية، كقولنا: كل نون ساكنة وقعت قبل حرف من حروف الحلق وجب إظهارها.

نشأة علم التجويد وأهم المؤلفات فيه:

كان الاعتماد في قراءة القرآن الكريم وتلقيه إبّان عصر النبوة والقرن الهجري الأول على المشافهة المحضة، والتلقين والتلقي المباشر للقراءة، فكان النبي ﷺ يعلّم أصحابه رضي الله عنهم القراءة والأداء، وكانوا يتقنون ذٰلك عنه لكونهم عربا أقحاحا، تساعدهم طباعهم، وتمكنهم من حفظ القرآن ومن فهمه، واستمر الأمر علىٰ هٰذا الحال، إلىٰ أن ظهرت المؤلفات في علم العربية، فكان النحاة يتناولون في كتبهم شيئا من مباحث علم التجويد، علىٰ أنها من لوازم بحوثهم، وأقدم ما وصل إلينا من ذٰلك (كتاب سيبويه)، الذي ذكر فيه - في باب الإدغام - مخارج الحروف وصفاتها، وشيئا من البحوث الصوتية والصرفية، وفي تلك المرحلة أو بعدها بقليل بدأت المؤلفات في علم القراءات بالظهور. ومن أولها كتاب أبي عبيد القاسم بن سلام: (ت: ٢٢٤هـ)، ومنها: كتاب (السبعة في القراءات)، لأبي بكر بن مجاهد: (ت: ٣٢٤هـ).

فكانت هٰذه المؤلفات ربما حوت شيئا من مباحث علم التجويد. لكن هٰذا العلم لم يستقل في التأليف - ولو بشكل أوَّلِيٍّ - إلا في القرنين: الثالث والرابع الهجريين، فكان أَوَّلُ مصنَّف في علم التجويد - علىٰ ما ذكر ابن الجزري - قصيدةَ أبي مزاحم الخاقاني: (ت: ٣٢٥هـ)، التي قالها في حسن الأداء، وعدد أبياتها: واحدٌ وخمسون بيتا، تطرق فيها لذكر جمل من هٰذا العلم.

ومما أُلِّف في تلك الآونة أيضا - وله علاقة بمباحث علم التجويد – كتاب: (سر صناعة الإعراب)، لأبي الفتح بن جني: (ت: ٣٩٢هـ)، غير أنه لم يكن غرضه تصحيح التلاوة، أو ما شابه ذٰلك، بل كان بحثا صوتيا صرفيا، ومع ذٰلك فهو مفيد جدا لطالب علم التجويد والقراءة.

وأقدم مصنف منثور وصل إلينا في هٰذا العصر احتوىٰ مباحث مهمة في علم التجويد، تتعلق باللحن وأقسامه وشرحه، كتاب: (التنبيه على اللحن الجلي والخفي)، لأبي الحسن السعيدي: (ت: ٤١٠هـ).

ثم جاء القرن الخامس الهجري، وظهرت مؤلفات علم التجويد الأنموذجية، التي تضمنت مباحثَ علم التجويد في صورتها النهائية تقريبا، وأسست أركانه، وأقرت قواعده، ومن أهمها كتاب: (الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة)، لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي: (ت: ٤٣٧هـ)، وكتاب: (التحديد في صنعة التجويد)، لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني: (ت: ٤٤٤هـ)، وكتاب: (الموضَح في التجويد)، لعبد الوهاب بن محمد القرطبي: (ت: ٤٦١هـ).

وفي القرن السادس الهجري أُلِّفت مصنفات في التجويد أهمها كتاب: (نهاية الإتقان في تجويد القرآن)، لشُرَيح بن محمد الرُّعَيني: (ت: ٥٣٩هـ)، وكتاب: (التجريد في التجويد)، لأبي علي الأصبهاني الحاجي: (ت: ٥٤٣هـ)، وكتاب: (الإنباء في تجويد القرآن)، لابن الطحان الأندلسي: (ت: ٥٦٠هـ)، وغيرها.

ومن أبرز المصنفات في علم التجويد بعد تلك الحقبة أرجوزةُ ابن الجزري: (ت: ٨٣٣هـ)، المعروفة بـ(المقدمة الجزرية)، وقد عكف عليها الطلاب حفظا ودراسة إلىٰ عصرنا، ووضعت عليها عشرات الشروح والحواشي، ومثلها في هٰذا العصر الأرجوزة الموسومة بـ(تحفة الأطفال في التجويد)، لمؤلفها سليمان الجمزوري المصري، كان حيا: (١١٩٨هـ).

وهٰكذا توالت التآليف والتصنيفات في هٰذا العلم واستمرت إلىٰ هٰذا العصر، وهو ما يجعل من الصعوبة حصر تلك المؤلفات وتتبعها، ومن المهم هنا أن يعلم القارئ أنه غَلَب علىٰ هٰذه المؤلفات - لا سيما في عصرنا الحاضر - التكرار وإعادة المادة، وربما وُجِدت فيها أشياءُ تصادم ما عليه كتب التجويد الأصيلة المذكورة آنفا.

لذا فمن الضروري لطلبة العلم اليوم الرجوع إلىٰ تلك الكتب، والإفادة منها، والتفقه فيها بطريق الأولوية، ونعني هنا كتب القرنين: الخامس، والسادس وما يقرب منهما، مع عدم إغفال الكتب الحديثة التي ربما تميزت بسهولة العبارة، ويسر عرض المعلومات.

المبحث الأول:
«الجهاز النطقي»

من أهم ما ينبغي للطالب معرفته هو تركيب هٰذا الجهاز، الذي بواسطته نُصْدر الأصوات المختلفة؛ إذْ إن معرفة ذٰلك تُعِين كثيرا علىٰ تصور عملية إنتاج الصوت اللغوي، التي سيأتي الحديث عنها في المطلب اللاحق، وسنقصر الحديث علىٰ الأجزاء التي تُسْهم في عملية التصويت بشكل مباشر، مع توخي الاختصار؛ تيسيرا على الطلاب؛ لعدم اعتيادهم علىٰ وجود هٰذا المبحث في كتب التجويد.

وسيجري ترتيب أعضاء النطق في هٰذا البحث ابتداء من الداخل إلى الخارج، تمشيا مع اتجاه تيار الهواء الذي هو مادة الصوت، ومع ما جرىٰ عليه علماء التجويد في كتبهم، وفق الآتي:

١. **الرئتان**: هُما عُضْوَا التنفسِ الرئيسان، قوامهما إسفنجي، وتقعان في تجويف الصدر، ويفصلهما عن تجويف البطن غشاء الحجاب الحاجز، وترتبطان بالقصبة الهوائية، التي تنتهي من أعلاها بالحَنْجَرة، وتمتازان بقوة ومرونة كقوة المطاط ومرونته، والرئة اليمنىٰ أكبر من اليسرىٰ.

٢. **القصبة الهوائية**: هي أنبوبٌ مكوَّنٌ من غضاريف علىٰ شكل حلقات غير متكاملة من الخلف، وتنقسم من أسفلها إلىٰ فرعين، يرتبط كل فرع بإحدى الرئتين، ثم يتشعب كل فرع إلىٰ شعب أدق، حتىٰ تنتهي بالحويصلات الهوائية، ويؤثر طول القصبة الهوائية وتركيب الغضاريف فيها في درجات الرنين المختلفة للأصوات.

٣. **الحَنجرة**: تجويف غضروفي صغير مُكوَّن من عدد من الغضاريف التي تضم في داخلها الوَتَرين الصوتيين.

والوَتَران الصوتيان: هما أهم أجزاء الحنجرة في عملية التصويت، ويشبهان شفرتين رقيقتين، ترتبط كل واحدة منهما بأحد الغضروفين الهرميين، ومن ثَمَّ يتحكم الوتران الصوتيان في فتح مجرى النفَس أو غلقه أو تضييقه في داخل الحنجرة،

ويوجد فوق الوَتَرين الصوتيين زوج من الشفاه، يماثلهما في الشكل تقريبا، لكن ليس لهما علاقة بعملية التصويت؛ لذا يسميان بالوترين الصوتيين الزائفين.

٤. **الحلق**: تجويف عضلي يقع بين أقصى اللسان والحنجرة، ويبلغ طوله تقريبا: (١٢: سم)، وهو مَجْرًى عضلي غشائي، يصل الفم بالمريء، ويكون ضيقا في الأسفل، متسعا من الجهة العليا، وقد قسم علماء التجويد الحلق عند حديثهم عن المخارج إلىٰ ثلاث مناطق: «أقصى الحلق، ووسطه، وأدناه»، والحنجرة تمثل عندهم منطقة ما يسمىٰ بأقصى الحلق، وهو مخرج الهمزة والهاء، كما سيأتي.

٥. **تجويف الفم**: يضم تجويف الفم أكثر أعضاء آلة النطق؛ فهو يشمل: «اللسان، والأسنان، واللثة، وسقف الفم، والشفتين»؛ لذا يتم في تجويف الفم إنتاج أكثر الحروف الهجائية، وفيما يأتي وصف لمكونات تجويف الفم:

أ. **سقف الفم أو «الحنك الأعلىٰ»**: يبدأ باللثة، وهي: اللحم الذي فيه منبت الأسنان، ثم يلي اللثة جزء محزز، ثم يأخذ بالتقعر، ويزول منه التحزز، وهٰذا الجزء عظمي صلب مبطن بنسيج لحمي لين، يسميه بعض العلماء بمنطقة الغار، وينتهي الجزء الصلب بعد منتصف سقف الفم بقليل، ويبدأ الجزء اللَّيِّن الذي ينتهي باللهاة، ويسمي بعضهم هٰذا الجزء بالطبق.

أما اللهاة فهي لحمة مسترخية في آخر سقف الفم تقابل أقصى اللسان، ولها القابلية على التصعد والانخفاض، فتسد مجرى النفَس إلى الأنف أو تفتحه.

ب. **اللسان**: هو العضو الرئيس في عملية النطق، وهو عضلة مرنة معقدة التركيب، وله دور كبير في إنتاج الأصوات اللغوية، ولعل هٰذا ما جعل العرب يطلقون: «اللسان» على اللغة نفسها.

وأجزاء اللسان هي: «طرفه، ووسطه، وأقصاه، وحافته»، أي: جانبه.

ج. **الأسنان**: للأسنان دور في إنتاج عدد من الحروف، وقد ذكر سيبويه عند حديثه

عن المخارج: الأضراس والثنايا والضاحك والناب والرَّباعية، وعدد الأسنان لدىٰ الإنسان اثنتان وثلاثون سنا، ست عشرة سنا في الفك الأعلىٰ، ومثلها في الأسفل، وهاك تفصيلها:

- **الثنايا**: هي أربع أسنان من أمام: اثنتان من أعلىٰ، واثنتان من أسفل.
- **الرَّباعيَّات**: هي أربع أسنان أيضا: رَباعيَّتان من فوق يَمنة ويَسرة، ومثلهما من أسفل.
- **الأنياب**: هي أربع أسنان كذٰلك: نابان من فوق يَمنة ويَسرة، ومثلهما من أسفل.
- **الضواحك**: هي أربع خلف الأنياب: ضاحكتان من أعلىٰ يَمنة ويَسرة، ومثلهما من أسفل.
- **الأضراس أو الأرحاء أو الطواحن**: ست عشرة: ثمان من فوق، أربع يمنة وأربع يسرة، ومثلهما من أسفل.
- **النواجذ**: هي أقصى الأضراس، عددها أربعة، وللإنسان أربعة نواجذ، وتسمىٰ «ضرس الحلم، أو ضرس العقل»؛ لأنه ينبت بعد البلوغ وكمال العقل، وقد لا توجد لدىٰ بعض الناس، وقد يوجد بعضها دون بعضٍ.

د- **الشفتان**: هما عضلتان عريضتان في مقدم الفم، ولهما القدرة على الحركة المرنة للَمِّ ما في داخل الفم، ولإنتاج عدد من الأصوات حين تنطبقان أو تنفتحان أو تنفرجان أو تستديران. وفي كل شفة منطقتان: إحداهما داخلية، تسمىٰ: «باطن الشفة»، والأخرىٰ خارجية، تسمىٰ «ظاهر الشفة».

هـ- **التجويف الأنفي**: يطلق عليه العلماء اسم «الخياشيم»، قال الداني: «والخيشوم الخرق المنجذب إلىٰ داخل الفم»، والتجويف الأنفي واسع نسبيا، يتصل من الخارج بفتحة الأنف، ومن الداخل بفتحة تؤدي إلىٰ أقصى الفم، حيث تُطل على الحنجرة مباشرة، ويُستعمَل التجويف الأنفي فراغا رنانا يطلق عليه مصطلح «الغنة»، وهي صفة لصوتَيِ: النون، والميم علىٰ اختلاف أحوالهما كما سيأتي.





المبحث الثاني:
«آلية إنتاج الصوت اللغوي»

من المهم جدًّا أن يتعلم طالب علم التجويد شيئا عن كيفية حدوث الأصوات اللغوية، ولو بشكل عام؛ لأن ذٰلك يمكّنه من تصور كيفية خروج حروف العربية من مخارجها التي سيأتي ذكرها في الفصل اللاحق.

وفيما يأتي شرح موجز لكيفية تكوّن الصوت المسموع بعد أن كان في أول الأمر هواءً مندفعا من الرئتين نحو الخارج.

فأول ما ينبغي للطالب معرفته أن تيار الهواء الخارج من الرئتين «هواء الزفير»، هو مادة الصوت الإنساني، والمقصود هنا الأصوات التي تتشكل منها الحروف الهجائية، أي: الأصوات اللغوية، وأما هواء الشهيق فليس له تلك المهمة، إلا فيما يتعلق ببعض الأصوات غير اللغوية كالنشيج ونحوه.

أهم العوامل التي تُسْهم في إنتاج الصوت اللغوي:

سبق بيان أن الوترين الصوتيين يمثلان أهم أجزاء الحنجرة في عملية التصويت «إصدار الأصوات»، وبالنظر إلىٰ موقعهما في الحنجرة فإنهما أول الأجزاء التي تعترض مجرىٰ هواء الزفير، ويتلخص تأثيرهما فيه، في الأحوال الآتية:

الحالة الأولىٰ: في حالة التنفس العادي، حيث يتباعد الوتران الصوتيان، فيمر الهواء من غير أن يؤثرا فيه، ودون أن يحدث له تضييق في بقية أعضاء النطق.

الحالة الثانية: مثل السابقة، لٰكن مع اعتراض مجرى الهواء في أحد أعضاء النطق، في التجويفين الحلقي والفموي، ويحدث هٰذا عند إنتاج الأصوات التي نطلق عليها الأصوات المهموسة، غير أنه قد يمر الهواء بين الوترين مع تضييق طفيف وانسداد لهما، لٰكن دون أن يعترضه شيء من أعضاء النطق الأخرىٰ، فينتج صوت الهاء وحده.

الحالة الثالثة: قد يعترض الوتران الصوتيان تيار الهواء، فيمر بينهما بشدة، متسببا في تذبذبهما، فيصدر ما يعرف عند العلماء بالنغمة الحنجرية، التي تمثل أهم سمات الأصوات المجهورة، ونستطيع أن نستكشف ذٰلك بوضوح إذا ما وضعنا أطراف أصابعنا علىٰ منطقة الغلصمة، وسط الرقبة، أو وضعنا أطراف أصابعنا على الجبهة عند النطق بأي حرف مجهور، لا سيما إذا نطقناه ساكنا مع استمرار، ولنا أن نجرب ذٰلك علىٰ حرف الذال مثلا، ومقارنته بالثاء.

الحالة الرابعة: قد يُقفِل الوتران الصوتيان مجرى الهواء إقفالا تاما، فيتوقف جريانه تماما، ثم يفتحان فجأة، فيخرج الصوت منضغطا في الحنجرة، ولا يحصل هٰذا إلا في إنتاج صوت واحد فقط هو الهمزة.

بعد مرور تيار الهواء المندفع من الرئتين بالوترين الصوتيين بالحنجرة بإحدىٰ الكيفيات الثلاث تحدث له إعاقة وتضييق في الأعضاء التي تعلو الحنجرة من آلة النطق، وهو ما تنتج عنه أصوات الحروف الهجائية.

وسنلخص - بشيء من الإجمال - تلك الآلية في النقاط الآتية:

- إذا وقع التضييق في منطقة الوترين الصوتيين نفسيهما خرجت الهمزة والهاء، أما الهمزة فبإقفال الوترين تماما، ثم انفتاحهما فجأة، وأما الهاء فبمجرد التضييق علىٰ مجرى الهواء.

- يمكن أن تتم العرقلة في منطقة أعلى الحنجرة مباشرة، وهو ما نسميه «وسط الحلق»، فتخرج العين والحاء، أو تكون العرقلة في الجزء الذي يلي منطقة أقصىٰ اللسان «أدنى الحلق»، فتخرج الغين والخاء.

- وإما أن تكون العرقلة في منطقة اللهاة فتخرج القاف، أو في منطقة الحنك اللين تحت اللهاة فتخرج الكاف.

- إذا تمت العرقلة في منطقة وسط اللسان خرج كل من الجيم والشين والياء.

- في منطقة حافة اللسان تخرج الضاد.

- أما إذا وقعت العرقلة في طرف اللسان فإن عددا من الحروف تنتج عن ذلك، بحسب ما يشترك مع طرف اللسان في عملية التضييق أو القفل، وهنا نلحظ أن بعض تلك الأحرف ينطبق معه اللسان على الحنك الأعلىٰ، فلا يجد مجالا للخروج إلا بالتدفق من التجويف الأنفي، وهٰذا الحرف هو النون، وبعضها يُسمح فيه لتيار الهواء بالتدفق من جانبي اللسان، وهو اللام، وبعضها يخرج بتذبذب رأس اللسان في موضعه تذبذبا خفيا، وهو الراء، وبقية حروف هٰذه المنطقة هي: «الطاء، والدال، والتاء»، و«الصاد، والسين، والزاي»، و«الظاء، والذال والثاء».

- إذا حصلت العرقلة في منطقة الشفتين خرجت الفاء، والباء، والميم، والواو، ونلحظ أن ما يحدث مع الميم هو عين ما حدث مع النون.

وبعد، فهٰذه هي عملية إنتاج الصوت اللغوي باختصار شديد، غير أنه بقي لنا أن نعلم أن كيفية عرقلة تيار الهواء تختلف باختلاف صفات حروف العربية، وقد مر ذكر بعض تلك الكيفيات عند الحديث عن النون واللام والراء وكذٰلك الميم، وقد ألمحنا إلىٰ هٰذا الاختلاف قبل ذٰلك.

والذي نرمي إليه هنا هو التركيز على الكيفية العامة لإنتاج الصوت، وأما كيفية خروج الحروف من مخارجها فأوانه شرح مخارج الحروف وصفاتها، وما هٰذا المطلب إلا توطئةً وتمهيدًا لذٰلك.



المبحث الثالث:
«مخارج الحروف»

تعريف المخرج: المخرج لغة: اسم مكانٍ، من: خرج، يخرج، أي: موضع الخروج. واصطلاحا: هو الحيز المولد للحرف، أو موضع اعتراض تيار الهواء في جهاز النطق.

عدد المخارج: للعلماء في تعديد مخارج الحروف ثلاثة مذاهب: فمنهم من جعلها سبعة عشر مخرجًا، ومنهم من جعلها ستة عشر مخرجًا، ومنهم من جعلها أربعة عشر مخرجًا. والمختار منها هو المذهب المنسوب إلى الخليل بن أحمد، وبه أخذ ابن الجزري، وهو سبعة عشر مخرجًا.

ودراسة المخرج تفيد القارئ في معرفة محل خروج الحرف، ونطقه بشكل صحيح، وتمييزه عن غيره.

وقد ذهب بعض العلماء إلىٰ أن مخارج الحروف بعدد الحروف الهجائية، فلكل حرف مخرج يميزه عن غيره، وإلا لكان إياه، وقد رُدَّ هٰذا القولُ بأن ما يميز الحروف المتحدة في المخرج إنما هو الصفات، علىٰ ما سيأتي في بابه.

أنواع المخارج: تنقسم المخارج إلىٰ: مخارج عامة، ومخارج خاصة، والمخارج العامة إجمالا خمسة: «الجوف، والحلق، واللسان، والشفتان، والخيشوم»، وهٰذا بيانها:

١. **الجوف**: هو الخلاء الداخل في الحلق والفم، يخرج منه حروف المد الثلاثة: «الألف»، ولا تكون إلا ساكنة ولا يكون ما قبلها إلا مفتوحًا، و«الواو» الساكنة المضموم ما قبلها، و«الياء» الساكنة المكسور ما قبلها.

٢. **الحلق**: علىٰ ثلاثة أقسام:

أ. أقصى الحلق: يخرج منه: «الهمزة، والهاء».

ب. وسط الحلق: يخرج منه: «العين، والحاء».

ج. أدنى الحلق: يخرج منه: «الغين، والخاء».

وهٰذه الحروف الستة تسمىٰ: الحروفَ الحلقية.

٣. **اللسان**: تتوزع عليه عشرة مخارج، نذكرها مرتبة من الداخل إلى الخارج كما يأتي:

أ. أقصى اللسان: أي: أبعده مما يلي الحلق وما يحاذيه من الحنك الأعلىٰ: (منطقة اللهاة)، يخرج منه: «القاف».

ب. أقصى اللسان مع ما يحاذيه من الحنك الأعلىٰ: (الحنك اللين) تحت مخرج القاف، يخرج منه: «الكاف».

ج. وسط اللسان: مع ما يحاذيه من الحنك الأعلىٰ، يخرج منه: «الجيم، والشين، والياء».

د. إحدىٰ حافتي اللسان وما يحاذيها من الأضراس العليا، يخرج منه: «الضاد»، وتخرج من الحافة اليسرىٰ، وهٰذا أسهل، وخروجها من اليمين أصعب وأقل استعمالًا، وهو من الجانبين أعز وأعسر.

هـ. ما بين أدنىٰ حافَتي اللسان معًا بعد مخرج الضاد إلىٰ منتهىٰ طرفه وما يحاذيها من اللثة (لحم الأسنان العليا) تخرج: «اللام».

و. طرف اللسان: مخارجه خمسة، وحروفه أحد عشر حرفًا:

١. طرف اللسان وما يحاذيه من اللثة العليا تحت مخرج اللام قليلاً: يخرج منه: «النون»، ويكون ذٰلك بانطباق جميع اللسان على الحنك، وتسرب تيار الهواء من الخيشوم.

٢. طرف اللسان مما يداني مخرج النون أدخَل إلىٰ ظهره قليلا: يخرج منه: «الراء»، وسيأتي أن هٰذا الحرف يمتاز عن غيره من الحروف بصفة التكرار.

٣. طرف اللسان وأصل الثنيتين العلويتين، يخرج منه: «الطاء، والدال، والتاء».

٤. ما بين طرف اللسان والصفيحتين الداخليتين للثنايا العليا، مع ارتكاز رأس اللسان على الثنايا السفلىٰ، يخرج منه: «الصاد، والسين، والزاي».

٥. طرف اللسان مع أطراف الثنايا العليا، تخرج منه: «الظاء، والذال، والثاء».

٤ . الشفتان:

أ. بطن الشفة السفلي مع أطراف الثنايا العليا، يخرج منه «الفاء».

ب. الشفتان معًا، تخرج منهما: «الباء، والميم، والواو غير المدية»، إلا أن الميم والباء يخرجان بإطباق الشفتين، في حين تخرج الواو بانفتاحهما مع استدارة، وتسمىٰ هٰذه الحروف بـ«الحروف الشفوية، أو الشفهية»؛ لخروجها من الشفة.

٥. الخيشوم: هو خرق الأنف المنجذب إلى الداخل فوق سقف الفم، ويسمىٰ بالمَنخِر، تخرج منه الغنة، وهي المصاحبة للنون والميم في جميع أحوالهما، وإن كانت مع المدغمتين والمخفاتين أبْين.



المبحث الرابع:
«صفات الحروف وتقسيماتها»

توطئة:

إن تحديد مخرج الحرف قد لا يكون كافيا في تمييزه من غيره، إنما يتم ذٰلك بالنظر في الكيفية المصاحبة للحرف عند خروجه من مخرجه، وهو ما اصطَلح عليه العلماء بـ «صفات الحروف».

تعريف الصفة:

الصفة لغة: من وصَف الشيء يصفه، إذا ذكره بحليته ونعته، والصفة ما قام بالشيء من المعاني كالعلم والسواد.

وتُعرّف في الاصطلاح: بأنها كيفية عارضة للحرف عند حصوله في المخرج.

وهٰذا هو المراد من قولهم في تعريف التجويد: «حق الحرف ومستحقه»، فحقُّ الحرف: صفاته الذاتية اللازمة له، كالجهر والشدة والاستعلاء والاستفال والغنة وغيرها، فإنها لازمة لذات الحرف لا تنفك عنه، وأما مستحقه فهو الصفات العرضية الناشئة عن الصفات الذاتية، كالتفخيم والترقيق وغيرها.

فائدة معرفة صفات الحروف: هناك فوائد لمعرفتها أهمها:

١. تمييز الحروف المتحدة في المخرج من بعضها.

٢. معرفة ما يدغم في مقاربه، وما لا يدغم.

٣. بيان الحروف العربية بيانا تاما يمكّن الناطق بغير العربية من تعلمها، ويعينه علىٰ أداء أصواتها بشكل صحيح.

أسس تقسيم صفات الحروف: اختلف العلماء في عرض مبحث صفات الحروف في كتبهم، حيث صنفوا صفات الحروف باعتبارات عدة، فأكثرهم يقسمها إلىٰ قسمين: صفات لها ضد مقابل، وصفات لا ضد لها، وبعضهم يقسمها إلىٰ: صفات ذاتية،

وصفات عارضة، فالذاتية كالجهر، والهمس والشدة، والرخاوة، والعارضة كالتفخيم والترقيق ونحوهما، وبعض جعلها إما ذاتية، وإما إضافية، ويعني بالإضافية ألقاب الحروف التي لقبها بها العلماء كالحروف الجوفية أو الهوائية أو اللهوية، أما الذاتية في هٰذا التقسيم فهي ما سوىٰ ذٰلك من الصفات.

وهناك من جعل الصفات صنفين: صفات مميِّزة، وهي التي تُميِّز حروفَ المخرج الواحد، كالجهر والهمس، والاستعلاء والاستفال ونحو ذٰلك، وأخرىٰ مُحسِّنة ليس لها تلك الوظيفة السابقة، ولٰكنها تضفي على الحرف جرْسا خاصا، وهي الصفات عينها التي لا ضد لها.

ومن أهم تلك التقسيمات من حصرها بين: صفات قوية، وأخرىٰ ضعيفة، فالجهر والشدة والاستعلاء والقلقلة ونحوها صفات قوة، والهمس والرخاوة والاستفال ونحوها صفات ضعف، يقول مكي بن أبي طالب مبينا أهمية هٰذا التصنيف: «فعلىٰ قدر ما في الحرف من الصفات القوية كذٰلك قوته، وعلىٰ قدر ما فيه من الصفات الضعيفة كذٰلك ضعفه، فافهم هٰذا لتعطي كل حرف في قراءتك حقه من القوة، ولتتحفظ ببيان الضعيف في قراءتك».

ومن المهم للطالب أن يدرك أسس تصنيف صفات الحروف قبل دراستها؛ ليستعين بهٰذا التصور علىٰ مزيد فهم لحقائق تلك الصفات، وليقف علىٰ فائدة دراستها ومدىٰ أهمية معرفتها.

وفي هٰذا المبحث سنسير علىٰ أساس تصنيف الصفات إلىٰ: صفات لها ضد، وصفات لا ضد لها؛ إذ هو المشهور في كتب التجويد، ولأنه مذهب ابن الجزري في أرجوزته المشهورة بالمقدمة، وهو ما تعارف عليه طلاب هٰذا العلم.

أولا: الصفات التي لها ضد: هي: «الهمس، ضده الجهر، والشدة، ضدها الرخاوة، وبينهما التوسط، والاستعلاء، ضده الاستفال، والإطباق، ضده الانفتاح، والإذلاق، ضده الإصمات». وهٰذا تفصيلها وَفْقَ ترتيب ابن الجزري:

الجهر: في اللغة الإعلان، وعلو الصوت، يقال: جهر الكلام وأجهره: أعلن به، وجهر الصوت أعلاه.

واصطلاحا: يعرفه علماء التجويد بأنه: انحباس جريان النّفَس عند النطق بالحرف؛ لكمال الاعتماد على المخرج، والحروف المجهورة تسعة عشر حرفا، وهي ماعدا المهموسة الآتي ذكرها.

ومما ينبغي معرفته هنا أن معظم الحروف المجهورة يهتز مع خروجها الوتران الصوتيان في الحنجرة، مما يكسوها نغمة لا توجد في الحروف المهموسة.

الهمس: لغة: الصوت الخفي، وفي اصطلاح علماء التجويد: جريان النفَس عند النطق بالحرف؛ لضعف الاعتماد على المخرج، وحروفه عشرة، يجمعها قولهم: «فَحَثَّهُ شَخْصٌ سَكَتْ»، وهي: «الفاء، والحاء، والثاء، والهاء، والشين، والخاء، والصاد، والسين، والكاف، والتاء»، وأضعف حروفه: «الهاء»، وأقواها: «الصاد»، وصفة الهمس من صفات الضعف؛ لأنها من الخفاء.

وللعلم فإن هٰذه الحروف المهموسة لا يتذبذب معها الوتران الصوتيان، وإلىٰ هٰذا أشار الفيروزآبادي بقوله في مفهوم الهمس: «حس الصوت في الفم مما لا إشراب له من صوت الصدر»، وواضح هنا أنه إنما أراد بصوت الصدر ذٰلك الأزيز الذي يحدثه تذبذب الوَتَرين الصوتيَّيْن في الحنجرة.

الشدة: في اللغة مأخوذ من الاشتداد، أي: القوة، وفي الاصطلاح: انحباس جري الصوت عند النطق بالحرف؛ لكمال الاعتماد على المخرج، وحروفها ثمانية، يجمعها قولهم: «أَجِدْ قَطٍ بَكَتْ»، وهي: «الهمزة، والجيم، والدال، والقاف، والطاء، والباء، والكاف، والتاء»، وواضح أن الشدة من صفات القوة.

التوسط: لغة: الاعتدال، واصطلاحا: اعتدال الصوت عند النطق بالحرف؛ لعدم اكتمال انحباسه كما في الشدة، وعدم اكتمال جريانه كما في الرخاوة.

وحروف التوسط خمسة، يجمعها قولهم: «لِنْ عُمَرْ»، وهي: «اللام، والنون، والعين، والميم، والراء»، وهٰذه الحروف يكون إقفال المخرج عندها معتدلا؛ لذٰلك لا توصف بالشديدة، ولا بالرخوة، ويطلق علىٰ هٰذه الصفة أيضا: «البَيْنِيَّة».

الرخاوة: الرِّخو في اللغة الهشُّ من كل شيء، وفي الاصطلاح: جريان الصوت مع الحرف؛ لضعف الاعتماد على المخرج، وحروفها: الستة عشر حرفًا الباقية من الحروف الهجاءية بعد احتساب حروف الشدة الثمانية، وحروف التوسط الخمسة، وتعد الرخاوة من الصفات الضعيفة.

الِاستعلاء: لغة: الارتفاع، والصعود، واصطلاحا: ارتفاع أقصى اللسان إلى الحنك الأعلىٰ عند النطق بالحرف، وحروفه سبعة، يجمعها قولهم: «خُصَّ ضَغْطٍ قِظ»، وهي: «الخاء، والصاد، والضاد، والغين، والطاء، والقاف، والظاء»، وصفة الاستعلاء من الصفات القوية.

الِاستفال: لغة: الانخفاض، واصطلاحا: انخفاض أقصى اللسان عن الحنك الأعلىٰ عند نطق الحرف، وحروفه تلك المتبقية من حروف الهجائية بعد حروف الاستعلاء، وصفة الاستفال من الصفات الضعيفة.

الإِطباق: الطبَق في اللغة غطاءُ كل شيء، واصطلاحا: التصاق طائفة من اللسان بما يحاذيها من الحنك الأعلىٰ عند النطق بالحرف، وحروفه أربعة، هي: «الصاد، والضاد، والطاء، والظاء»، وأقواها الطاء، وأضعفها الظاء، والإطباق من صفات القوة.

وللقارئ أن يلحظ هٰذه الصفة بجلاء إذا ما نطق بأحد حروف الإطباق ساكنا، ثم انتقل مباشرة إلىٰ نظيره المنفتح، منتبها علىٰ حركة لسانه مع هٰذه العملية، ويمكنه أن يجرِّب مثلا الظاء مع الذال، أو الصاد مع السين.

وهناك مصطلح مذكور في بعض كتب علم الأصوات ينبغي عدم الخلط بينه وبين الإطباق، وهٰذا المصطلح هو «الطبق»، ويراد به الجزء اللين من الحنك، الذي تخرج منه الكاف، فالكاف حرف طبقي، والصاد والضاد والطاء والظاء حروف مطبقة.

الانفتاح: في اللغة من الفتح وهو ضد الغلق، وفي الاصطلاح: تجافي اللسان عن الحنك الأعلىٰ عند النطق بالحرف، وحروفه هي تلك المتبقية بعد حروف الإطباق، وصفة الانفتاح صفة ضعف.

الإذلاق: الذلْق من كل شيء حدُّه وطرفُه، والذلْق والذليق حديد اللسان البليغ الفصيح، وسميت هٰذه الأحرف -وهي: الفاء، والراء، والميم، والنون، واللام، والباء- في كتب التجويد بالحروف المذلقة؛ لأنها تخرج من ذلَق اللسان والشفتين، أي: من طرفهما، وهٰذه الأحرف لا بد من وجود أحدها في الكلمات العربية المجردة من الزيادة، رباعية فأكثر، وهٰذه ميزة صرفية لهٰذه الأحرف الستة كما هو ظاهر.

الإصمات: الصمت في اللغة: الامتناعُ، والسكوت، وفي الاصطلاح: تلك الأحرف المصمتة التي امتنعت أن تتركب منها كلمة رباعية فأكثر، دون أن يوجد في هٰذه الكلمة أحد أحرف الإذلاق السابقة الذكر؛ وذٰلك لصعوبة حروف الإصمات وثقَلها بالنسبة لنظيراتها المذلقة.

والواضح من هٰذا أن هاتين الصفتين: «الإذلاق، والإصمات» ليستا من الصفات ذات الدلالة الصوتية، ولا من الصفات التي نستطيع أن نميز بها بين الحروف المتضادة من الناحية الصوتية، وهما ألصق بعلم الصرف منهما بعلم التجويد؛ لذا أهمل بعضُ علماء التجويد المتقدمين والمتأخرين ذكرَهما في كتب التجويد ضمن صفات الحروف.

ثانيا: الصفات التي لا ضد لها: هي سبع صفات، هٰذا بيانها:

الصفير: في اللغة: التصويت بالفم، وهو في الأصل صوت يصدره الطائر، واصطلاحا: صوت زائد فيه حدة يصاحب أحرفه الثلاثة: «الصاد، والزاي، والسين»، وأقواها الصاد؛ للاستعلاء والإطباق، ثم الزاي؛ للجهر، وأضعفها السين، والصفير من الصفات المحسنة التي تضفي علىٰ حروفها قوة، فهي من صفات القوة.

القلقلة: في اللغة الصوت الشديد، أو شدة الصياح، وفي الاصطلاح: صوت يشبه النبرة أو صويت يلحق الحرف حال سكونه؛ لشدته، وعرَّفها بعض العلماء بأنها: اهتزاز واضطراب في المخرج عند النطق بالحرف ساكنًا حتىٰ يُسمَع له نبرة قوية، وأحرف القلقلة خمسة، مجموعة في قولهم: «قُطْبُ جَد»، وهٰذه الأحرف فيها شدة وجهر، وأوضح ما تكون القلقلة في القاف؛ لذا قال بعض العلماء: القاف أصل حروف القلقلة، والقلقلة من صفات القوة أيضا، وكيفية النطق بها نطقا صحيحا تضبط بالمشافهة والتلقي.

وقد قسم بعض العلماء القلقلة إلىٰ قسمين: صغرىٰ «في حال الوصل»، وكبرىٰ «في حال الوقف مطلقا»، وذهب بعضهم إلىٰ أنها صغرىٰ ومتوسطة وكبرىٰ، إلا أنهم فرقوا بين الوقف على المخفف والمشدد، أي: أنه عند الوقف على المخفف تكون القلقلة متوسطة، وفي حال الوقف على المشدد تكون كبرىٰ، والأمثلة على الترتيب: «يقْتل»، «غاسق»، «الحقّ».

اللين: لغة ضدُّ الخشونة، واصطلاحا: خروج الحرف من مخرجه في لين وعدم كلفة، وله حرفان، هما: «الواو، والياء» الساكنان المفتوح ما قبلهما، مثل: «خَوْف»، «بَيْت»، واللين من صفات الضعف.

الِانحراف: لغة: الميلُ والعُدولُ، واصطلاحا: ميل الحرف عن مخرجه؛ حتىٰ يتصل بمخرج غيره، وله حرفان، هما: «اللام، والراء»، وصفة الانحراف صفة قوة، ومن العلماء من خص الانحراف باللام وحده، ولعله الأظهر؛ لأن تيار الهواء ينحرف عند خروج اللام؛ ليتسرب من جانبي اللسان، ولا يحدث هٰذا بهٰذه الكيفية إلا مع حرف اللام.

التكرير: يقصد به لغةً: إعادة الشيء مرة بعد مرة، وفي الاصطلاح: ارتعادُ رأس اللسان عند النطق بالراء.

وصفة التكرير على الصحيح أنها صفة لازمة لحرف الراء، مركبة في جسمه، لٰكن ينبغي أن يتحفظ القارئ بنطق الراء؛ حتىٰ لا تتولد من الراء - وخصوصا المشددة - راءان، أو أكثر، والتكرير من صفات القوة.

التفشي: انتشار الصوت في الفم عند النطق بالشين، وله حرف واحد، هو: «الشين»، وصفة التفشي قوية.

الاستطالة: امتداد الصوت في مخرج «الضاد» من أول حافة اللسان إلىٰ آخرها، والاستطالة من صفات القوة.

وبعد معرفة صفات الحروف باختصار، لا بد أن يعلم القارئ أن كل حرف من حروف الهجاء لا بد أن يتصف بصفة من الصفات المتقابلة، أي: أن يكون موصوفا بخمس صفات من ذوات الضد، وقد ينضاف إلىٰ هٰذه الصفات بعد ذٰلك صفة أو أكثر من الصفات المحسنة، ولا تزيد جملة الصفات في الحرف الواحد علىٰ سبع صفات.



المبحث الخامس:
«التفخيم والترقيق»

تعريف التفخيم: لغة: التسمين، واصطلاحا: سِمَن يعتري صوت الحرف، فيمتلئ الفم بصداه.

والتفخيم والتسمين والتغليظ ألفاظ مترادفة، حقيقتها واحدة.

تعريف الترقيق: لغة: ضد التغليظ، واصطلاحا: نُحُول يعتري صوت الحرف، فلا يمتلئ الفم بصداه.

وتنقسم الحروف الهجائية بالنسبة إلىٰ «التفخيم، والترقيق» ثلاثة أقسام:

الأول: ما يفخم مطلقا، وهو حروف الاستعلاء السبعة المجموعة في قولهم: «خص ضغط قظ»، والـمُطْبَقة منها أقوىٰ تفخيما من غير المطبقة، وأقواها الطاء.

الثاني: ما يرقق مطلقا، وهو جميع حروف الاستفال، عدا الألف واللام والراء.

الثالث: ما يفخم أحيانا، ويرقق أخرىٰ، وهو الألف اللينة، واللام، والراء. أما الألف فإنها تفخم وترقق بحسب ما قبلها من الحروف، فإذا سبقها مفخم فخمت، والعكس صحيح، وأما اللام فالأصل فيها الترقيق، لكنها تفخم في اسم «الله»، ومثله: «اللهم»، إذا سُبِقا بفتح أو ضم، كما تغلَّظ في رواية ورشٍ وَفق شروطٍ معيَّنة، وترقق في غير هٰذا على الأصل. أما الراء فسنفرد لها المبحث الآتي.

مراتب التفخيم: اختلف العلماء في مراتب التفخيم علىٰ مذهبين، والمشهور أنها خمس مراتب، وهي على الآتي:

الأولىٰ: المفتوح وبعده ألف، نحو: «قال».

الثانية: المفتوح وليس بعده ألف، نحو: «قبل».

الثالث: المضموم، نحو: «قُتل».

الرابع: الساكن، نحو: «يقْتلون».

الخامس: المكسور، نحو: «قيل».

المبحث السادس:
«أحكام الراءات»

سنلخص في هٰذا الفصل أحكام الراءات بشكل مناسب، وسنرتب الكلام عليها، فنبدأ بالمتحركة، فالساكنة المتوسطة، فالساكنة المتطرفة، وسنذكر ما اشتهر فيه الخلاف دون غيره، ونُذَكِّر بأن الأصل في الراء التفخيم، وفق الآتي:

أولا: الراء المتحركة: الراء المفتوحة والمضمومة مفخمة في جميع أحوالها عند غير ورش، علىٰ تفصيل يأتي مع أصول روايته، نحو: ﴿رَّبِّهِمْ﴾، ﴿يُبْصِرُونَ﴾. وأما المكسورة فهي مرققة في نحو: ﴿يُرِيدُ﴾، وهٰذا كله في غير المتطرفة الموقوف عليها، التي سيأتي الحديث عليها.

ثانيا: الراء الساكنة المتوسطة: المقصود بها الراء التي وقعت ساكنة في وسط الكلمة، وحكمها بحسب ما قبلها، فإذا كان ما قبلها مفتوحا أو مضموما، كان حكمها التفخيم، نحو: ﴿وَأَرْسَلْنَا﴾﴿ٱلْمُرْسَلِينَ﴾.

أما إذا وقعت بعد كسر فإنها مرققة، نحو: ﴿فِرْعَوْنَ﴾، ويستثنىٰ من هٰذا الحكم الأخير الأحوال التالية:

١. إذا كان الكسر منفصلا عن الراء في كلمة أخرىٰ، نحو: ﴿ٱلَّذِے إرْتَضَىٰ﴾.

٢. إذا كان الكسر عارضا، أي: ليس أصليا، نحو: ﴿اِرْجِعِے﴾، عند الابتداء بها.

وقد اجتمع السببان معا في قوله: ﴿أَمِ إرْتَابُوٓاْ﴾، فكسرة الميم عارضة بسبب التقاء الساكنين، ومفصولة عن الراء.

٣. إذا وقع بعد الراء حرف استعلاء غير مكسور، نحو: ﴿فِرْقَةٍ﴾، ﴿لَبِالْمِرْصَادِ﴾، ويجوز لجميع القراء في قوله: ﴿فِرْقٍ﴾، بالشعراء الوجهان: التفخيم، والترقيق؛ لكسرة القاف.

ثالثا: الراء الساكنة المتطرفة: المقصود بالمتطرفة الموقوف عليها بالسكون، سواء كان السكون أصليًا، نحو: ﴿فَأَنذِرْ﴾، أو عارضًا لأجل الوقف، نحو: ﴿ٱلْمُدَّثِّرُ﴾،

﴿ نُقِرَ ﴾، وحكم هذه الراء التفخيم إلا في ثلاثة أحوال، هي:

١. الراء الساكنة المتطرفة الواقعة بعد كسر، نحو: ﴿ فَاصْبِرْ ﴾، ﴿مُّنتَشِرٌ﴾، ومثلها الراء الواقعة بعد ساكن مستفلٍ قبله كسر، نحو: ﴿سِحْرٌ﴾، وأُجيز الوقف بالتفخيم والترقيق على الراء مسبوقةً بساكنٍ مستعلٍ قبله كسرة، وذلك في لفظ ﴿مِّصْرَ﴾ و﴿ ٱلْقِطْرِ ﴾، والتفخيم هو المقدَّم في راء ﴿مِّصْرَ﴾ لانفتاحها وصلاً، والترقيق هو المقدَّم في راء ﴿ ٱلْقِطْرِ ﴾ لانكسارها وصلاً.

٢. الراء الواقعة بعد ياء ساكنة، نحو: ﴿لَاضَيْرَ ﴾، ﴿ٱلْخَبِيرُ ﴾.

٣. الراء الواقعة بعد ألف ممالة، نحو: ﴿هارٍ﴾في قراءة من يُميل. وهناك بعض الكلمات ذكر فيها الخلاف في كتب التجويد في تفخيم الراء وترقيقها، لكن الصحيح فيها إجراء القواعد المذكورة سابقا. وقد لخَّص ابن الجزري هذا الباب في هذه الأبيات:

وَرَقِّقِ الـرَّاءَ إِذَا مَا كُسِرَتْ ... كَذَاكَ بَعْدَ الْكَسْرِ حَيْثُ سَكَنَتْ
إِنْ لَمْ تَكُنْ مِنْ قَبْلِ حَرْفِ اسْتِعْلاَ ... أَوْ كَانَتِ الكَسْرَةُ لَيْسَتْ أَصْلاَ
وَالْخُلْفُ فِي (فِرْقٍ) لِكَسْرٍ يُوجَدُ ... وَأَخْفِ تَكْرِيرًا إِذَا تُشَدَّدُ



المبحث السابع:
«أحكام النون الساكنة والتنوين»

تعريف النون الساكنة: هي النون التي لا حركة لها، مثل نون: «مِنْ، عنْ»، وتكون في الاسم، والفعل، والحرف، وتقع وسطًا وطرفًا، وتثبت لفظًا وخطًا، ووصلًا ووقفًا.

والصفات اللازمة للنون هي: الجهر، والتوسط، والاستفال، والانفتاح، والإذلاق، والغنة، وهي متصفة بهذه الصفات سواء كانت متحركة أو ساكنة. أما صفاتها العارضة فهي أربع: الإظهار، والإدغام، والإقلاب، والإخفاء. توزعت عليها أحكامها المشهورة بأحكام النون الساكنة والتنوين كما سيأتي بيانه.

تعريف التنوين: هو نون ساكنةٌ زائدةٌ تلحق آخر الأسماء لفظًا، وتفارقه خطًّا ووقفًا، بمعنى أنها تظهر في النطق لا الكتابة.

وللنون والتنوين - في حال التقائها مع حروف العربية - أربعة أحكام، ذكرها الجمزوريُّ بقوله:

لِلنُّونِ إِنْ تَسْكُنْ وَلِلتَّنْوِينِ　　أَرْبَعُ أَحْكَامٍ فَخُذْ تَبْيِينِي

وهي: «الإظهار، والإدغام، والإقلاب، والإخفاء»، وهذا تفصيلها:

الأول: الإظهار: لغة: البيان، واصطلاحًا: إخراج النون الساكنة من مخرجها بغير غنة ولا تشديد فيما بعدها.

ويسمى بالإظهار الحلقي؛ لارتباطه بالأحرف الستة التي تخرج من الحلق، وهي: «الهمزة، والهاء، والعين، والحاء،والغين، والخاء». قال الجمزوريُّ:

فَالأَوَّلُ الإِظْهَارُ قَبْلَ أَحْرُفِ　　لِلْحَلْقِ سِتٍ رُتِّبَتْ فَلْتَعْرِفِ
هَمْزٌ فَهَاءٌ ثُمَّ عَيْنٌ حَاءُ　　مُهْمَلَتَانِ ثُمَّ غَيْنٌ خَاءُ

وتكون الأحرف الستة المذكورة سابقًا مع (النون) في كلمة، أو كلمتين، ولكن مع التنوين لا بد أن تكون من كلمتين، كما هو معلوم، وهذه أمثلتها:

أ. النون: مع الأحرف الستة من كلمة، ومن كلمتين:

١ . من كلمة: ﴿ وَيَنْهَوْنَ ﴾، ﴿ وَيَنْـَٔوْنَ ﴾، ﴿أَنْعَمْتَ ﴾، ﴿وَتَنْحِتُونَ ﴾، ﴿فَسَيُنْغِضُونَ ﴾، ﴿ وَالْمُنْخَنِقَةُ ﴾.

٢ . من كلمتين: ﴿مَنْ ءَامَنَ ﴾، ﴿مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ ﴾، ﴿مِّنْ خَيْرٍ ﴾، ﴿ وَمَنْ عَادَ ﴾، ﴿مِنْ غَيْرِ﴾، ﴿مَنْ هَاجَرَ﴾.

ب. التنوين: ﴿كُلٌّ ءَامَنَ ﴾، ﴿ جُرُفٍ هَارٍ﴾، ﴿عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾، ﴿يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ﴾، ﴿ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾، ﴿لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴾.

وهنا سؤال: ما العلة التي دعت إلىٰ إظهار النون عند هٰذه الأحرف الستة؟

الجواب: هو أن هٰذه الأحرف الستة مخرجها من الحلق، فهي: (حروف حلقية)، والنون ومثلها التنوين مخرجها من طرف اللسان، وبينهما بُعْدٌ في المخرج؛ لذا كان الإظهار واجبا؛ بسبب هٰذا البعد، وقد تقرَّر في أحكام التلاوة أن بُعد المخرج ممَّا يقتضي الإظهار.

الثاني: **الإدغام**: لغة: الإدخال، واصطلاحًا: التقاء النون الساكنة والتنوين مع أحد حروف الإدغام بحيث يصيران حرفًا واحدًا مشَدَّدًا من جنس الثاني، يرتفع اللسان عنهما ارتفاعة واحدة.

وأحرف الإدغام ستة، هي: «الياء، والراء، والميم، واللام، والواو، والنون»، مجموعة في قولهم: (يرمُلون).

قال الجمزوريُّ – رحمه الله –:

وَالثَّانِ إِدْغَامٌ بِسِتَّةٍ أَتَتْ فِي: (يَرْمُلُونَ) عِنْدَهُمْ قَدْ ثَبَتَتْ

وينقسم الإدغام إلىٰ قسمين:

أولا: **إدغام بغنة**: حروفه أربعة، مجموعة في لفظة: «ينمو»، أو «يومن»، فإذا وقع حرف من هٰذه الأحرف الأربعة بعد النون الساكنة أو التنوين – شرطَ أن يكون ذٰلك من كلمتين – وجب الإدغام بغنة.

والغنة: صوت لذيذ يخرج من الخيشوم عند النطق بالحرف، فإذا أمسكتَ بأنفك لم يجرِ ذٰلك الصوت.

قال الجمزوريُّ – رحمه الله –:

لَكِنَّهَا قِسْمَانِ قِسْمٌ يُدْغَمَا فِيهِ بِغُنَّةٍ بِـ(يَنْمُو) عُلِمَا
إِلاَّ إِذَا كَانَا بِكِلْمَةٍ فَلاَ تُدْغِمْ كَدُنْيَا ثُمَّ صِنْوَانٍ تَلاَ
وَالثَّانِ إِدْغَامٌ بِغَيْرِ غُنَّهْ فِي اللاَّمِ وَالرَّا ثُمَّ كَرِّرَنَّهْ

أمثلة على إدغام النون الساكنة والتنوين بغنة:

١. إدغام النون الساكنة: ﴿وَمَنْ يَّعْمَلْ﴾: ننطقها بعد إدغام الياء في النون بغنة: (وَمَيَّعْمل)، ﴿مِن نِّعْمَةٍ﴾: (مِنِّعْمةٍ)، ﴿مِّن مَّلْجَإٍ﴾: (مِمَّلجَأٍ)، ﴿مَنْ يَّقُولُ﴾: (مَيَّقُولُ)، ﴿مِّن مَّالِ اللَّهِ﴾: (ممَّال اللهِ)، ﴿مِنْ وَّرَقٍ﴾: (موَّرَقٍ).

٢. إدغام التنوين: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ﴾: (وجُوهُيَّومئِذٍ)، ﴿أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ﴾: (أمْشَاجِنَّبْتَلِيهِ)، ﴿رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ﴾: (رَسُولُمِّنَ اللهِ)، ﴿جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾: (جَنَّا تِوَّعُيُونٍ).

تنبيه: إذا وقعت هٰذه الأحرف بعد النون في كلمة واحدة وجب الإظهار، ويسمى: إظهارا مطلقا؛ لعدم تقيده بحلقٍ أو شفة، وقد وقع بأربع كلمات في القرآن الكريم لا خامس لها، هي: ﴿الدُّنْيَا﴾، ﴿بُنْيَانٌ﴾، ﴿قِنْوَانٌ﴾، ﴿صِنْوَانٍ﴾، وعلةُ وجوب إظهارها في الكلمةِ الواحدة المحافظةُ على بنية الكلمة؛ لئلاَّ تلتبس بغيرها ممَّا وقع التضعيف فيها في الحرف نفسه لا بسبب إدغام النون فيه، كـ﴿بُنْيَانٌ﴾ و(بيَّان) و﴿صِنْوَانٍ﴾ و(صوَّان).

ثانيا: إدغام بغير غنة: له حرفان، هما: «اللام، والراء»، وهٰذه أمثلته:

١. إدغام النون الساكنة: ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ﴾: ننطقها: (لَئِلَّمْ يَنْتَهِ) (بغير غُنَّة مع الشَّدة)، ﴿مِن رَّبِّكَ﴾: (مِرَّبِّكَ).

٢. إدغام التنوين: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾: ننطقها: (وَيْلُلِّلْمُطَفِّفِينَ)، ﴿فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾: (في عِيشَتِرَّاضِيَةٍ).

الثالث: الإقلاب: ويسمى القلب، وهو في اللغة: التحويل، وفي الاصطلاح: قلب النون الساكنة أو التنوين «ميمًا» قبل «الباء»، مع إخفائها بغنة، وأمثلته كما يأتي:

أ. من كلمة: ﴿يُنۢبِتُ﴾: (يُمْبِتُ)، ﴿لَيُنۢبَذَنَّ﴾: (لَيُمْبَذَنَّ)، ﴿أَنۢبَأَكَ﴾: (أَمْبَأَكَ).

ب. من كلمتين: ﴿مِنۢ بَعْدِ﴾: (مِمْبَعْدِ)، ﴿مَنۢ بَخِلَ﴾: (مَمْبَخِلَ)، ﴿أَنۢ بُورِكَ﴾: (أَمْبُورِكَ).

ومن أمثلة إقلاب التنوين: ﴿مُنفَطِرُۢ بِهِۦ﴾: (مُنْفَطِرُمْبِهِ)، ﴿زَوْجِۭ بَهِيجٍ﴾: (زَوْجِمْبَهِيجٍ)، ﴿عَلِيمُۢ بِذَاتِ﴾: (عَلِيمُمْبِذَاتِ)، ﴿لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ﴾: (لَطِيفُمْبِعبَادِهِ).

قال الجمزوريُّ – رحمه الله –:

والثَالثُ الإِقْلاَبُ عِنْدَ الْبَاءِ مِيمًا بِغُنَّةٍ مَعَ الإِخْفَاءِ

سبب الإقلاب: لما عسُر الإدغام لاختلاف المخرج وقلة التناسب، وتميّزت النون والميم عن الباء بالغنة، امتنع الإدغام، وكان الإظهار ثقيلا على اللسان، فلم يبق إلا الإخفاء، لكن ناسب أن تقلب النون قبل ذلك ميما؛ لأنها – أي الميم – تشارك النون في الغنة، والباء في المخرج، ومن ثَمَّ قُلبت النون ميما، وأخفيت هذه الميم عند الباء.

الرابع: الإخفاء: لغةً: الستر، واصطلاحًا: النطق بالنون الساكنة بصفة بين الإظهار والإدغام من غير تشديد في الحرف التالي، مع بقاء الغنة في الحرف الأول: «الْمُخْفَى».

ومن التعريف الاصطلاحي يظهر الفرق بين الإدغام والإخفاء من وجهين، هما:

أ. الإدغام فيه تشديد، أما الإخفاء فليس فيه تشديد.

ب. الإدغام يكون في الحرف، أما الإخفاء فيكون عند الحرف.

والإخفاء يأتي في الحروف الخمسة عشر الباقية من الهجائية، وهي: «الصاد، والذال، والثاء، والكاف، والجيم، والشين، والقاف، والسين، والدال، والطاء، والزاي، والفاء، والتاء، والضاد، والظاء». قال الجمزوريُّ:

وَالرَّابِعُ الإِخْفَاءُ عِنْدَ الْفَاضِلِ   مِنَ الحُرُوفِ وَاجِبٌ لِلْفَاضِلِ
فِي خَمْسَةٍ مِنْ بَعْدِ عَشْرٍ رَمْزُهَا   فِي كِلْمِ هٰذَا البَيْتِ قَدْ ضَمَّنتُهَا
صِفْ ذَا ثَنَا كَمْ جَادَ شَخْصٌ قَدْ سمَا   دُمْ طَيِّبًا زِدْ فِي تُقًى ضَعْ ظَالِمَا

ويأتي الإخفاء من كلمة، ومن كلمتين مع النون، ومن كلمتين مع التنوين -كما عرفت-، وأمثلته كثيرة: منها: ﴿عَن صَلَاتِهِمْ﴾، ﴿مُنذِرِينَ﴾، ﴿مَّنثُوراً﴾، ﴿أَن كَانَ﴾، ﴿وَإِن جَنَحُواْ﴾، ﴿مَنشُوراً﴾، ﴿يَنقَلِبُ﴾، ﴿الْإِنسَانُ﴾، ﴿دَكّاً دَكّاً﴾، ﴿انطَلِقُواْ﴾، ﴿فَإِن زَلَلْتُم﴾، ﴿انفِرُواْ﴾ ﴿مُّنتَهُونَ﴾، ﴿مَّنضُودٍ﴾، ﴿انظُرُواْ﴾.

سؤال: ما علة الإخفاء؟

الجواب: هو أن النون الساكنة والتنوين لم يقرُبا من هٰذه الحروف الخمسة عشر قربَهما من حروف الإدغام فيُدغما، ولم يَبعُدا بعدَهما من حروف الإظهار فيُظهَرا، فأُعْطيا حكمًا متوسطًا بين الإظهار والإدغام، هو الإخفاء.

كيفية الإخفاء: يكون الإخفاء بتهيئة الفم علىٰ مخرج الحرف الآتي، ويُصاحب ذٰلك غنةٌ من الخيشوم، ويكون هٰذا الصوت مفخما إذا جاء بعده حرف مفخم، مثل: ﴿فَانصَبْ﴾، ﴿يَنطِقُونَ﴾؛ ويكون مرققا إذا جاء بعدها حرف مرقق، نحو: ﴿أَنتُمْ﴾، ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ﴾. قال بعضهم:

وفَخِّمِ الغُنَّةَ إِنْ تَلاهَا   حُرُوفُ الإِستِعلاءِ لا سِواها



المبحث الثامن:
«حكم الميم والنون المشددتين»

يجب على القارئ إظهار الغنة في الميم والنون المشددتين مقدارَ حركتين وصلا ووقفا، وزمن الغنة تضبطه المشافهة والتلقي عن الشيوخ، وما ذكر من الحركتين تقريب لذلك في أذهان الطلاب، وقد يتأثر زمنها طولا وقصرا بسرعة القراءة.

وتظهر الغنة في النون المشددة سواء جاءت في وسط الكلمة أو في آخرها، مع الاسم والفعل والحرف، بصرف النظر عن سبب ذلك التشديد، مثل: ﴿ ٱلنَّاسُ ﴾، ﴿ٱلْأُمِّيَّ﴾، ﴿وَيُمَنِّيهِمْ﴾ ، ﴿تُحَمِّلْنَا﴾.

قال الجمزوري -رحمه الله-:

وَغُنَّ مِيمًا ثُمَّ نُونًا شُدِّدَا   وَسَمِّ كُلًّا حَرْفَ غُنَّةٍ بَدَا

أمثلة على الغنة: ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾، ﴿مِّن نَّذِيرٍ﴾، ﴿ لَمَّا﴾، ﴿وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾، ﴿ وَيْكَأَنَّ ﴾، ﴿عَمَّ ﴾.

مواضع الغنة: للغنة خمسة مواضع تكون فيها الغنة زائدة عما في أصل النون والميم من غنة، وهذي المواضع:

١ . النون الساكنة والتنوين عند إدغامهما في الياء والنون والميم والواو.

٢ . النون الساكنة والتنوين عند إخفائهما في خمسة عشر حرفًا، كما مر.

٣ـ النون والميم المشددتان، وهو ما نحن بصدده.

٤ـ الميم الساكنة عند إدغامها في الميم.

٥ـ الميم الساكنة عند إخفائها في الباء.



المبحث التاسع:
«أحكام الميم الساكنة»

تعريفها: هي الميم الخالية من الحركة، ولها قبل حروف الهجاء - غير الألف اللينة - ثلاثة أحكام، هي:

الأول: الإخفاء: يقصد به إخفاء الميم مع بقاء غنتها عندما يليها حرف واحد وهو الباء، ويسمىٰ هٰذا بالإخفاء الشفوي؛ لخروج كل من الباء والميم من الشفتين، وهو لا يكون إلا من كلمتين، مثال: ﴿يَوْمَ هُم بَـٰرِزُونَ﴾، ﴿إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ﴾، ﴿وَمَنْ يَّعْتَصِم بِاللَّهِ﴾، وعلة الإخفاء أن الميم والباء لما اشتركا في المخرج وتجانسا في بعض الصفات ثَقُلَ الإظهار والإدغام التام، فتعيّن الإخفاء.

الثاني: الإدغام: هو الحكم الثاني من أحكام الميم الساكنة، وينشأ من التقاء الميم بميم مثلها، وقد تقدم ذكر هٰذا في إدغام المثلين، سواء كانت أصلية، مثل: ﴿خَلَقَ لَكُم مَّا فِي اِ۬لْأَرْضِ﴾، أم ميمًا مقلوبة عن النون الساكنة أو التنوين، مثل: ﴿مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾، وفي الحالتين يلزم الإتيان بكمال التشديد وإظهار الغنة؛ لأن حكمه الإدغام بغنة.

الثالث: الإظهار الشفوي: هو الحكم الثالث من أحكام الميم الساكنة، حيث تُظهر الميم الساكنة عند بقية الحروف الستة والعشرين، ويكون من كلمة، مثل: ﴿أَمْثَالَكُم﴾، ﴿أَنْعَمْتَ﴾، ﴿تُمْسُونَ﴾، ومن كلمتين: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾، ﴿وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ﴾، ﴿تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾، ﴿أَيُّكُمْ زَادَتْهُ﴾.

وينبه العلماء تنبيها مؤكدا علىٰ وجوب إظهارها عند كل من الواو والفاء، وعدم إخفائها عندهما، وألا يتوهم أنهما مثل «الباء» التي تتحد في مخرجها مع الواو، وتقترب في مخرجها من الفاء، فلا يجوز إخفاؤها ولا إدغامها؛ لقوة الميم وضعف الفاء، والقوي لا يُدغَم في الضعيف، كما حذروا من السكت عليها عندهما كما يفعل بعضهم خوف الوقوع في إدغامٍ أو إخفاء، بل يجب الإظهار.

ومثال التقاء الميم مع الفاء قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ﴾، ومثال التقاء الميم مع الواو قوله تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾.

قال الجمزوريُّ – رحمه الله–:

وَالمِيمُ إِنْ تَسْكُنْ تَجِي قَبْلَ الْهِجَا   لاَ أَلِفٍ لَيِّنَةٍ لِذِي الْحِجَا
أَحْكَامُهَا ثَلاَثَةٌ لِمَنْ ضَبَطْ   إِخْفَاءٌ ادْغَامٌ وَإِظْهَارٌ فَقَطْ
فَالأَوَّلُ الإِخْفَاءُ عِنْدَ الْبَاءِ   وَسَمِّهِ الشَّفْوِيَّ لِلْقُرَّاءِ
وَالثَّانِي إِدْغَامٌ بِمِثْلِهَا أَتَى   وَسَمِّ إدغاماً صغيراً يا فَتَى
وَالثالِثُ الإِظْهَارُ فِي الْبَقِيَّهْ   مِنْ أَحْرُفٍ وَسَمِّهَا شَفْوِيَّهْ
وَاحْذَرْ لَدَى وَاوٍ وَفَا أَنْ تَخْتَفِي   لِقُرْبِهَا وَلاتِّحادِ فَاعْرِفِ

ويقول ابن الجزري:

وأَظْهِرِ الغُنَّةَ مِنْ نُونٍ وَمِنْ   مِيمٍ إِذَا مَا شُدِّدَا وَأَخْفِيَنْ
الْمِيمَ إِنْ تَسْكُنْ بِغُنَّةٍ لَدَى   بَاءٍ عَلَى المُخْتَارِ مِنْ أَهْلِ الأَدَا
وَأَظْهِرَنْهَا عِنْدَ بَاقِي الأَحْرفِ   وَاحْذَرْ لَدَى وَاوٍ وَفَا أنْ تَخْتَفِي



المبحث العاشر:
«المثلان، والمتجانسان، والمتقاربان»

توطئة: بيَّنا فيما تقدم مخرج الحرف، وصفاته، وسيُعنىٰ هٰذا المبحثُ بالحكم الناشئ عن تجاور ذٰلك الحرف مع غيره ممَّا شابهه في النطق والرسم، أو ساواه في المخرج أو الصفة، أو قاربه في كليهما أو في أحدهما؛ إذ من المعلوم أن هٰذه الحروف - وإن ذكرت مفردة أو مجموعة تحت مخرج أو صفة - ستَلتقي لتكوِّن كلمةً، ثم جملةً، فماذا يحدث حين تلتقي تلك الحروف؟

الجواب: إذا التقى الحرفان لفظًا وخطًا، أو خطًا فقط - ولا فاصل يفصل بينهما - فإنهما ينقسمان أربعة أقسام، وذٰلك بالنظر إلىٰ أمورٍ أربعة:

الأول: بالنظر إلىٰ سبب نشوئه، ينقسمان إلىٰ ثلاثة أقسامٍ: «متماثلٍ، ومتجانسٍ، ومتقاربٍ».

الثاني: بالنظر إلىٰ سكون الحرف المدغم وتحرُّكه قبل إحداث الإدغام، ينقسمان إلىٰ قسمين: «صغيرٍ، وكبيرٍ».

الثالث: بالنظر إلىٰ تمام عمليَّة الإدغام ونقصانها، ينقسمان إلىٰ قسمين: «كاملٍ، وناقصٍ».

الرابع: بالنظر إلىٰ حكمه ينقسمان إلىٰ ثلاثة أقسامٍ: «واجبٍ، وجائزٍ، وممتنعٍ».

لٰكن يجدر بنا -قبل أن نشرع في بيان هٰذه الأقسام- أن نشير إلى الأصول التي يدور عليها إدغامُ الحروف العربية؛ ليستعين بها القارئ علىٰ فهم حقيقة الإدغام، وتصوُّر علته على الوجه الصحيح، وهٰذه الأصول تتلخَّصُ في الآتي:

الأول: تسكين الحرف الأول إن كان متحركا؛ لأنه لا يتأتَّىٰ إدغامه فيما يليه إلا بعد تسكينه.

الثاني: قلب الحرف الأول من جنس الحرف الثاني، إن لم يكن مماثلاً له؛ وذٰلك لعدم إمكان الإدغام إلا بعد القلب.

الثالث: ألاَّ يكون الحرف الأول حرف مدٍّ في طرف الكلمة الأولىٰ، من نحو: ﴿قَالُواْ وَهُم﴾، ﴿فِي يَوْمٍ﴾؛ لئلا يُذهَب بالمد.

الرابع: أن يكون للحرف الثاني مزية على الأول، ما لم يكن مجانسًا له، من نحو: ﴿بَسَطْتَّ﴾، ﴿فَرَطْتُّ﴾، أو مقاربًا له مقاربة شديدة من نحو: ﴿نَخْلُقكُّم﴾؛ لأن من حِكَم الإدغام تقويةَ الحرف الضعيف بالحرف القوي لا العكس.

وينبغي أن يُعْلَمَ ما يأتي:

١. أن الإدغام يكثر في حروف اللسان، ويقل في حروف الحلق والشفتين.

٢. كلَّما تقاربت مخارج الحروف حَسُن الإدغام، وكلما تباعدت حَسُن الإظهار.

وبعد بيان القواعد العامة التي تحكم الإدغام، إليك هٰذه الأقسام مختصرة:

أولًا: أقسامه بالنظر إلىٰ سبب نشوئه:

أ. التماثُل: هو أن يتَّفق الحرفان مخرجًا وصفةً؛ كالباءين في نحو: ﴿ٱضْرِب بِّعَصَاكَ﴾، والدَّالين في نحو: ﴿وَقَد دَّخَلُواْ﴾، والهاءيْن في نحو: ﴿أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ﴾.

ب. التجانُس: هو أن يتفق الحرفان مخرجًا، ويختلفا صفةً، أو العكس، فمثال ما اتَّفق الحرفان فيه مخرجًا واختلفا صفةً الدالُ مع التاء قولُه تعالىٰ: ﴿لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ﴾، وقوله: ﴿قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ﴾، ومثال ما اتَّفق الحرفان فيه صفةً واختلفا مخرجًا الدالُ مع الجيم، في نحو قوله تعالىٰ: ﴿قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾.

ج. التقارُب: هو أن يتقارب الحرفان مخرجًا وصفة؛ كالقاف مع الكاف في نحو: ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم﴾، أو يتقارب الحرفان مخرجًا لا صفة؛ كالدال مع السين في نحو: ﴿عَدَدَ سِنِينَ﴾، أو يتقارب الحرفان صفة لا مخرجًا؛ كالسين مع الشين في نحو: ﴿ٱلرَّأْسُ شَيْبًا﴾.

ثانيًا: أقسامه بالنظر إلىٰ سكون الحرف المُدْغَمِ وتحرُّكه قبل إحداث عملية الإدغام:

أ. الإدغام الصغير: هو ما كان الحرف الأول فيه ساكنًا، والثاني متحركًا؛ نحو قوله تعالىٰ: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ﴾، وقوله: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ﴾.

ب. الإدغام الكبير: هو ما كان الحرفان فيه متحركين قبل إدغامهما؛ نحو: الميم مع الميم في قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحِيمِ مَلِكِ﴾.

ثالثًا: أقسامه بالنظر إلىٰ تمام عمليَّة الإدغام ونقصانها:

أ. الإدغام الكامل، هو ما ذهبت فيه ذات الحرف المدغَم وصفاته في ذات المدغَم فيه، أو هو ما فَنِيَتْ فيه ذاتُ المدغَم في المدغَم فيه فناءً تامًّا في نحو قوله تعالىٰ: ﴿مِن لَّدُنْ﴾، وقوله: ﴿قُل رَّبِّ﴾.

ب. ثانيًا: الإدغام الناقص: هو ما ذهبت فيه ذاتُ الحرف المدغَم في ذات المدغَم فيه وبقيت صفاته، من نحو قوله تعالىٰ: ﴿بَسَطتَّ﴾، و﴿فَرَّطتُ﴾، و﴿مَنْ يَّشَآءُ﴾.

رابعًا: أقسامه بالنظر إلىٰ حُكْمِهِ:

أ. الإدغام الجائز: هو ما اختلف القُرَّاء في إدغامه، كاختلافهم في إدغام (ذال إذ) في غير الظاء ممَّا قاربها.

ب. الإدغام الواجب، هو ما أجمع القراءُ علىٰ وجوب إدغامه من نحو إدغام أول المثلين في ثانيهما إن وقع ساكنًا، ومن نحو إدغام أول المتجانسيْن في مواضع بعينها.

قال الشيخ الجمزوري - رحمه الله – مُلَخِّصا هٰذا الباب:

إنْ فِي الصِّفَاتِ وَالمَخَارِجِ اتَّفَقْ ... حَرْفَانِ فَالْمِثْلاَنِ فِيهِمَا أَحَقْ
وَإِنْ يَكُونَا مَخْرَجًا تَقَارَبَا ... وَفِي الصِّفَاتِ اخْتَلَفَا يُلَقَّبَا
مُتَقَارِبَيْنِ، أَوْ يَكُونَا اتَّفَقَا ... فِي مَخْرَجٍ دُونَ الصِّفَاتِ حُقِّقَا
بِالْمُتَجَانِسَيْنِ، ثُمَّ إِنْ سَكَنْ ... أَوَّلُ كُلٍّ فَالصَّغِيرَ سَمِّيَنْ
أَوْ حُرِّكَ الحَرْفَانِ في كُلٍّ فَقُلْ ... كُلٌّ كَبِيرٌ، وافْهَمَنْهُ بِالْمُثُلْ

تنبيه:

هناك قسمان تابعان لهٰذا الباب يُذكران في بعض كتب التجويد، لٰكنَّ ذِكرهما يأتي من قبيل تتميم القسمة العقليَّة المنطقيَّة؛ لأنَّه لا إدغامَ فيهما أصلًا، هٰذا بيانهما:

الأول: يأْتي تتمَّة للتقسيم الأول المعنيِّ بسبب النشوء، ألاَ وهو: الإدغام المتباعد، والمتباعدان: هما الحرفان اللذان تباعدا مخرجًا، واختلفا صفة، كالتاء مع العين في نحو قوله تعالىٰ: ﴿تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ﴾، والكاف مع الهاء في قوله: ﴿فَكِهُونَ﴾، أو هما الحرفان اللذان تباعدا مخرجًا، واتفقا صفة، كالكاف مع التاء في مثل قوله تعالىٰ: ﴿فَاكْتُبُوهُ﴾.

الثاني: الإدغام الممتنع، هو ما أجمع القراء علىٰ منع إدغامه فيما ماثَله، أو جانَسه، أو قارَبه؛ بسبب انتفاء شرط من شروط الإدغام، من نحو منعهم إدغام الباء في الباء في قوله تعالىٰ: ﴿صَبَبْنَا﴾، وقوله: ﴿يَمْسَسْكَ﴾، وقوله: ﴿شَقَقْنَا﴾؛ وذلك بسبب تحرُّك أولهما، وهو ما يُوسَم بالمطلق، ويأتي في مقابلة الإدغام الصغير؛ إذ الحرف الأول فيه متحرك، والثاني ساكن، وحكمه: الإظهار بإجماع القراء.



المبحث الحادي عشر:
«المد والقصر»

تعريف المـد: وهو لغة: الزيادة، واصطلاحًا: إطالة الصوت بحرف من حروف المد واللين، أو بأحد حرفي اللين عند ملاقاة همز أو سكون.

أحرف المد: أحرفه ثلاثة، هي: «الألف، والواو، والياء»، فالألف لا تكون إلا ساكنة، ولا يكون ما قبلها إلا مفتوحا، وأمَّا الواو فشرطُها أن تقع ساكنةً مضمومـًا ما قبلها، مثل : ﴿يَعۡلَمُونَ﴾ ، وشرط الياء أن تقع ساكنةً مكسوراً ما قبلها مثل ﴿ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ .

حرفا اللين: هما: «الواو» الساكنة بعد فتح، مثل: ﴿ خَوۡفٌ ﴾، و«الياء» الساكنة بعد فتح، مثل:﴿ ضَيۡفِ ﴾ .

وسميت حروفَ المد؛ لأن لها قابليةَ المد والتطويل، وسميت «حروفَ اللين»؛ لخروجها بامتداد ولين من غير كُلفة.

تعريف القـصر: وهو لغةً: الحبس، واصطلاحـًا: إثبات حرف المد من غير زيادة على المد الأصلي، أي: بمقدار المد الطبيعي، أو بشيء من المد في حال النطق بحرفَي اللين. والمد قسمان، هما:

الأول: المد الأصلي: (الطبيعي): هو الذي لا يتوقف علىٰ سببٍ من همزٍ أو سكون، ولـٰكن لمجرد وجود أحد أحرف المد واللين الثلاثة في الكلمة، وسُمِّيَ بالمد الأصليّ؛ لأنه أصلُ جميع المدود، وسمي بالذاتي؛ لأن ذات الحرف لا تقوم إلا به، كما سمي بالطبيعيّ؛ لأن صاحب الطبيعة السليمة لا يزيده عن مقداره ولا ينقصه.

ومقدار هـٰذا المد ألف واحدة، أو حركتان، والحركتان: هي المدة الزمنية اللازمة للنطق بحرفين متحركين متتاليين، نحو: بَ بَ، بِ بِ، بُ بُ، مثل: ﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ ﴾، ﴿ٱلۡمَغۡضُوبِ﴾، ﴿ خَٰلِدِينَ ﴾، ونحو: «قَالَ»، «قِيلَ»، «يَقُولُ»، وقد جُمعت حروف المد في قوله تعالىٰ: وفي:﴿ نُوحِيهَا ﴾، وفي: ﴿أُوذِينَا﴾

قال الجمزوريُّ – رحمه الله –:

وَالمـدُّ أَصْلِـيٌّ وَفَرْعِـــيٌّ لَـهُ   وَسَـــمِّ أَوَّلاً طَبِيعِيًّــــا وَهُــــو
مَـا لاَ تَوَقُّـفٌ لَـهُ عَلـىٰ سَـبَبْ   وَلا بِدُونِـهِ الحُـرُوفُ تُجْتَلَـبْ
بلْ أَيُّ حَرْفٍ غَيْرُ هَمْزٍ أَوْ سُكُونْ   جَـا بَعْـدَ مَـدٍّ فَالطَّبِيعـيّ يَكُـونْ

الثاني: المد الفرعي: هو المد الذي يتوقف علىٰ سببٍ يدعو لإطالته من همزٍ أو سكون.

ومقداره زائد عن مقدار المد الطبيعي.

يقول الجمزوري – رحمه الله –:

وَالآخَـرُ الْفَرْعِـيُّ مَوْقُـوفٌ عَلـىٰ   سَـبَبْ كَهَمْـزٍ أَوْ سُـكُونٍ مُسْـجَلاً
حُرُوفُــــــهُ ثَلاَثَـــــةٌ فَعِيهَـا   مِنْ لَفْظِ «وَايٍ»، وَهْيَ في: (نُوحِيهَا)
وَالكَسْرُ قَبْلَ الْيَا وَقَبْلَ الْواوِ ضَم   شَـرْطٌ وَفَتْـحٌ قَبْـلَ أَلْـفٍ يُلْتَـزَمْ
وَاللِّيـنُ مِنْهَـا الْيَـا وَوَاوٌ سَـكَنَا   إِنِ انْفِتَـــاحٌ قَبْـــلَ كُلٍّ أُعْلِنَــــا

أسباب المد:

للمد أربعة أسباب: اثنان منهما معنويان، وآخران لفظيان، وهـٰذا بيانٌ لها:

أولا: السببان المعنويان:

أ. **إرادة التعظيم**: وذٰلك في آيات التوحيد في نحو قوله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾، عند مَن مذهبُه القصر من القراء في المنفصل، ولا يُتجاوز به حدُّ التوسط.

ب. **إرادة المبالغة في النفي**: وذٰلك عند (لا) النافية للجنس، المتبوعة بغير الهمز في نحو قوله تعالىٰ: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾، وتمد الألف فيها في قراءة حمزة الزيات، إلا أنه لا يتجاوز بها حد التوسط أيضا.

ثانيا: السببان اللفظيان:

أ. **الهمز**: سبب لثلاثة أنواع من المدود، وهي: «المتصل، والمنفصل، والبدل»، نحو: ﴿ٱلسَّمَآءِ﴾، و﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ﴾، و﴿ءَامَنُوا۟﴾.

ب. السكون: سبب لنوعين من المدود: «اللازم، والعارض للسكون، كما في: ﴿ٱلضَّآلِّينَ﴾، و﴿ءَآلْـَٰٔنَ﴾، و﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾، و﴿نَسْتَعِينُ﴾، و﴿يَعْلَمُونَ﴾، عند الوقف عليها.

شروط المد:

يشترط في أحرف المد واللين أن يكون كل منها ساكنا، وأن يكون ما قبلها مجانسا لها، أي: ضمُّ ما قبل الواو، وكسرُ ما قبل الياء، والألف لا يكون ما قبلها إلا مفتوحًا، وقد اجتمعت الأحرف الثلاثة بهٰذه الضوابط في كلمة: ﴿نُوحِيهَا﴾، في قوله تعالىٰ: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ﴾، (نُو): جاءت الواو الساكنة بعد حرف مضموم مما يقتضي مدها بمقدار ألف، (حِيـ) جاءت الياء الساكنة بعد حاء مكسورة، (ـهَا)، جاء الألف الساكنة بعد هاءٍ مفتوحة، ولا بد من أن تكون المدود متساوية إذا اجتمعت.

وحرفا اللين من هٰذه الأحرف هما: «الياء، والواو» الساكنتان المفتوح ما قبلهما، نحو: ﴿خَوْفٍ﴾، و﴿ٱلْبَيْتَ﴾.

أحكام المد:

للمدِّ ثلاثة أحكام، هي: «الوجوب، والجواز، واللزوم».

يقول الجمزوريُّ – رحمه الله –:

لِلْمَـــدِّ أَحْـكَـامٌ ثَـلاَثَـةٌ تَـدُومْ ... وَهْـيَ الْوُجُوبُ وَالْجَوَازُ وَاللُّـزُومْ

فللوجوب: نوع واحد، وللجواز: ثلاثة أنواع، وللُّزوم: نوع واحد.

أما أنواع المد الفرعي الخمسة، فهي: «المد اللازم، والمد المتصل، والمد العارض، والمد المنفصل، ومد البدل».

أولًا: المد الواجب (المتصل): هو ما جاء فيه بعد حرف المد همزٌ متَّصلٌ به في كلمةٍ واحدةٍ، سواء أكان الهمز في وسط الكلمة، نحو: ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ و﴿وَأَبْنَآؤُكُمْ﴾ و﴿هَنِيٓـًٔا﴾، أم كان في آخرها نحو: ﴿ٱلسَّمَآءِ﴾ و﴿ٱلسُّوٓءَ﴾ ﴿يُضِيٓءُ﴾، وهو محكومٌ عليه بالوجوب، قال الجمزوريُّ رحمه الله:

فَوَاجِبٌ إِنْ جَاءَ هَمْزٌ بَعْدَ مَدْ ... فِي كِلْمَةٍ وَذَا بِمُتَّصِلْ يُعَدْ

سبب تسميته:

سُمِّيَ هٰذا النوع من المدود متَّصلاً؛ لاتِّصال حرف المد بالهمزة في كلمة واحدة.

حُكْمُه: حُكِمَ علىٰ هٰذا النوع بوجوب مدِّه عند جميع القراء، وإن كان ذٰلك مع التفاوت بين الإشباع والتوسط وما بينهما، وهو ما يُعرف بـ(فويق التوسط)، وما بين القصر والتوسُّط أيضـًا، وهو ما يعرف بـ(فويق القصر)، غير أنَّ المشهور، والذي عليه الجمهور أن له مرتبتيْن: الإشباع والتوسُّط.

ثانيًا: المد المنفصل: هو ما جاء فيه بعد حرف المد همزٌ منفصلٌ عنه في كلمة أخرىٰ، وذٰلك بأن يكون حرف المد آخر الكلمة الأولىٰ، والهمزة في أول الكلمة الأخرىٰ، كقوله تعالىٰ: ﴿يَعْلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ﴾، وقوله: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾، وقد سُمّيَ بالمنفصل؛ لانفصال حرف المد عن الهمزة، كما مر.

حكمه: الجواز؛ لجواز قصره عند القراء، وتوسيطه كذٰلك عند بعض منهم، وإشباعه عند الآخرين.

يقول الجمزوري رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَجَـائِزٌ مَـدٌّ وَقَصْـرٌ إِنْ فُصِـل كُـلٌّ بِكِلْمَـةٍ وَهَـٰذَا المُـنْفَصِـلْ.

ثالثا: مد البـدل: هو المد الذي تتقدم فيه الهمزة علىٰ حرف المد، نحو: ﴿ءَامَنُوٓاْ﴾، ﴿إِيمَـٰنًا﴾، ﴿أُوتُواْ﴾.

قال الجمزوري رَحِمَهُ اللَّهُ:

أَوْ قُدِّمَ الْهَمْـزُ عَلَـى الـمَدِّ وَذَا بَـدَلْ كَـآمَنُوا وَإِيـمَانًا خُـذَا

أنواعه: يأتي مدُّ البدل علىٰ نوعيْن: حقيقيٍّ، وشبيهٍ بالبدل:

فأمَّا الحقيقي فهو ما وقع فيه حرف المدِّ مبدلاً من همزٍ ساكنٍ من نحو ما تقدم في تعريفِه.

وأمَّا الشبيه بالبدل فهو ما تقدَّم فيه الهمز علىٰ حرف مدٍّ غير مبدلٍ من همزٍ ساكنٍ من نحو: ﴿قُرْءَانٍ﴾، و﴿مَسْـُٔولًا﴾، و﴿وَنَـَٔا﴾.

سبب تسميته: سُمِّيَ هٰذا النوع من المدود بالبدل؛ لإبدال حرف المد من الهمز في الحقيقيِّ منه؛ وذٰلك لأنَّ أصل أوائل الكلمات فيه مكونةٌ من همزتين: الأولىٰ متحركةٌ، والثانية ساكنةٌ، فأُبْدِلَتِ الساكنة حرفَ مدٍّ من جنس حركة ما قبلها على القاعدة الصرفيَّة المعروفة، وقد حُمِلَ الشبيهُ بالبدل على البدل الحقيقي في هٰذه العلَّة؛ بجامع تقدُّم الهمز فيهما علىٰ حرف المد.

حكمه: يمد هٰذا النوع من المدود مدًّا طبيعيًّا بمقدار حركتين، لجميع القراء بمن فيهم ورش، الذي رواه- أيضًا - بالتوسط والإشباع، زيادة على القصر.

رابعا: المد العارض للسكون: هو ما جاء فيه بعد حرف المد أو اللين سكون عارض لأجل الوقف، مثل: ﴿ٱلنَّاسِ﴾، ﴿ٱلْكَٰفِرُونَ﴾، ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾، ﴿لَاضَيْرَ﴾، ﴿خَوْفٌ﴾، وسُميَ عارضًا؛ لعروض السكون بسبب الوقف، وهٰذا هو سبب المد، ولولاه لكان مدًّا طبيعيًّا.

قال الجمزوري رحمه الله:

وَمِثْلُ ذَا إنْ عَرَضَ السُكونُ   وَقْفًا كَـ(تَعْلَمُونَ)، (نَسْتَعِينُ)

حكمه: يجوز فيه ثلاثة أوجه: القصر، والتوسط، والإشباع.

لٰكن يجب أن يكون المد علىٰ نسق واحد، بمعنىٰ أن القارئ إذا ابتدأ قراءته بقصر المد العارض، فعليه أن يقرأ كل مد عارض بمقدار حركتين، ولا يقصر في موضع، ويمد في موضع آخر؛ لقول ابن الجزري - رحمه الله -:

....   واللَّفْظُ فِي نَظِيرِهِ كَمِثْلِهِ

أمثلة للمد العارض للسكون: الوقف علىٰ: ﴿ٱلْأَوْتَادِ﴾، في قوله تعالىٰ: ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ﴾، فتمد الألف التي تسبق حرف الدال الساكن وقفًا حركتين أو أربع أو ست حركات، والوقوف علىٰ ﴿بِالدِّينِ﴾، في قوله تعالىٰ: ﴿كَلاَّ بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ﴾، فتمد الياء المدية عند الوقف عليها حركتين أو أربع أو ست حركات. والوقوف علىٰ ﴿تَفْعَلُونَ﴾، في قوله تعالىٰ: ﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾، فتمد الواو عند الوقف عليها حركتين، أو أربع، أو ست حركات كذٰلك.

ويندرج تحت هٰذا النوع ما يعرف بـ«مدِّ اللِّين»، يكون في الواو والياء الساكنتين المفتوح ما قبلهما، وسمي هٰذان الحرفـــان بحرفي اللين؛ لأنهما يخرجان بيسر ولين من غير كلفة، ويوجد مد اللين في مثل كلمة: ﴿خَوْفٍ﴾من قوله تعالىٰ: ﴿وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾، وكلمة: ﴿وَالصَّيْفِ﴾في قوله: ﴿إِيلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَالصَّيْفِ﴾.

ولا يؤتىٰ بهٰذا الحكم إلا في حال الوقف على الكلمة. أما في حال الوصل فهو بالقصر مطلقًا، والمراد بالقصر هنا ذهاب المد بالكلية.

حكمه: جائز، بمعنىٰ أنه يجوز فيه القصر، والتوسط، والإشباع.

سادسًا: المـد اللازم: هو ما جاء فيه بعد حرف المد سكونٌ أصلي ثابت لا يتغير وصلًا ولا وقفا، سواء كان هٰذا السكون مدغما أو مظهرا.

قال الجمزوري رحمه الله:

وَلاَزِمٌ إِنِ السُّـكُونُ أُصِّلاَ وَصْلاً وَوَقْفًا بَعْدَ مَدٍّ طُوِّلاَ

حكمه: لزوم مَدِّه بمقدار ست حركات لجميع القراء.

أقسام المد اللازم: ينقسم أربعة أقسام:

١ـ المد اللازم الكلمي: نوعان: «مُثقَّل، ومُخفَّف».

٢. المد اللازم الحرفي، نوعان: «مُثقَّل، ومُخفَّف».

قال الجمزوري – رحمه الله –:

أَقْسَامُ لاَزِمٍ لَدَيهم أَرْبَعَهْ وَتِلْكَ كِلْمِيٌّ وَحَرْفِيٌّ مَعَهْ
كِلاَهُمَا مُخَفَّفٌ مُثَقَّلُ فَهَذِهِ أَرْبَعَةٌ تُفَصَّلُ

أولًا: المـد الكلمي: ينقسم إلىٰ: «مُثقَّل، ومُخفَّف»، هٰذا بيانهما:

أ. المد الكَلِمِي المُثَقَّل: هو ما جاء فيه بعد حرف المد سكون أصلي في كلمة يزيد هجاؤها علىٰ ثلاثة أحرف.

وسُمّي كلميا؛ لوقوع السكون بعد حرف المد في كلمة، وسمي مثقلا؛ لإدغام الساكن فيه فيما بعده وصلًا ووقفًا في كلمة، وذٰلك في نحو: ﴿ أَتُحَآجُّونِي ﴾، و﴿ اِ۬لْحَآقَّةُ ﴾، و﴿اِ۬لصَّآخَّةُ ﴾، و﴿اِ۬لطَّآمَّةُ ﴾.

وهنا سؤال، مُفاده: ما معنى السكون الأصلي الوارد بالتعريف؟

الجواب: معناه أن يكون الحرف ساكنًا في الوصل والوقف، سواء وَصَلنا الكلمة بما بعدها، أو وقفنا عليها.

ب. المد الكَلِمى المخفَّف: هو ما جاء فيه بعد حرف المد ساكن أصلي غير مدغم فيما بعده، ويكون ذٰلك في كلمة، مثل: ﴿ ءَآلَٰنَ ﴾، بموضعيها في يونس. يقول الجمزوري – رحمه الله –:

فَإِنْ بِكِلْمَـةٍ سُـكُونٌ اجْتَمَعْ   مَعْ حَرْفِ مَدٍّ فَهْوَ كِلْمِيٌّ وَقَعْ
أَوْ فِي ثُلاَثِيِّ الحُرُوفِ وُجِدَا   وَالمَـدُّ وَسْـطُهُ فَحَرْفِـيٌّ بَـدَا
كِلاَهُمَـا مُثَقَّـلٌ إِنْ أُدْغِمَـا   مَخَفَّـفٌ كُلٌّ إِذَا لَـمْ يُدْغَمَـا

ثانيًا: المـد الحـرفي: نوعان، هما:

أ. المد الحَرْفي المثقَّل: هو ما جاء فيه بعد حرف المد سكونٌ أصليٌّ مُدْغَمٌ في حرفٍ هجاؤُه من ثلاثة أحرف، أوسطُهن ساكن، وذٰلك في حروف التهجي التي افتتحت بها بعض السور القرآنية، وسُمي الحرفيَّ؛ لاجتماع المد والسكون في حرف واحد، وذٰلك في نحو: لام، وميم من: ﴿الٓمٓ ﴾، وعين من: ﴿ حمٓ عٓسٓقٓ ﴾.

ب. المد الحرفي المخفَّف: هو ما جاء فيه بعد حرف المد سكونٌ أصليٌّ غير مدغم في الحرف الذي يليه، ويكون كذٰلك في أحد الحروف المقطعة الواقعة في أوائل السور أيضًا، ومنها: ﴿ نٓ ﴾، ﴿قٓ ﴾، وميم من: ﴿حمٓ﴾.

وتمد هٰذه الحروف مدا مشبعا بمقدار ست حركات، مثل: ﴿ قٓ وَالْقُرْءَانِ اِ۬لْمَجِيدِ ﴾، فالفاء من لفظ: «قاف» ساكنة سكونا أصليا لازما، لٰكنه غير مدغم؛ ولذا سمي المد لازما حرفيا مخففا.

وقد قُسِّمَتِ الأحرف المقطَّعة في أوائل السور علىٰ أربعة أقسام من حيث المدُّ وعدمُه، فأما الحروف المجموعة في قولك: «سنقُصُّ لكم»، فهي تُمَدُّ مدًّا مشبعـًا. وأمّا العين في فاتحة مريم والشورىٰ، فيجوز فيها الإشباع و التوسط، والإشباع هو المقدم.

قال الإمام الشاطبي:

ومُدَّ لَهُ عِندَ الْفَواتِحِ مُشْبِعًا وفِي عَيْنِ الوَجْهَانِ، وَالطُّولُ فُضِّلَا

وأما الحروف المجموعة في قولك: «حَيٌّ طَهُرَ» فلا تمد إلا بمقدار حركتين فقط؛ لابتنائها من حرفين حال التهجي، ويسمَّىٰ مدُّ هٰذه الحروف الخمسة بالمد الطبيعي الحرفي؛ لوجود حرف المد الذي ليس بعده همز ولا سكون في حرف من حروف الهجاء. وأمَّا (الألف) فلا تمدُّ البتَّة؛ لعدم اشتمالها علىٰ حرف مدٍّ حال تهجِّيها.

وقد بلغ تَعْدَادُ الحروف الهجائية المقطعة التي جاءت في فواتح سور القرآن الكريم أربعة عشر حرفًا، جُمعت في قولهم: «نَصٌّ حكيمٌ قَطْعًا لَهُ سِرٌّ»، أو «صِلْهُ سُحَيْرًا مَنْ قَطَعكَ»، أو «طرَقَ سَمعَكَ النَّصِيحَةُ».

قال الجمزوري – رحمه الله –:

وَالــلَّازِمُ الْحَرْفِـيُّ أَوَّلَ السُّــوَرْ	وُجُـودُهُ وَفِـي ثَمَـانٍ انْحَصَــرْ
يَجْمَعُهَا حُرُوفُ «كَمْ عَسَلْ نَقَصْ»	وَعَيْنُ ذُو وَجْهَيْنِ والطُّولُ أَخَصْ
وَمَا سِوَى الحَرْفِ الثُّلَاثِي لاَ أَلِفْ	فَمَـــدُّهُ مَـــدًّا طَبِيعِيًّـــا أُلِـفْ
وَذَاكَ أَيْضًــا فِــي فَوَاتِــحِ السُّــوَرْ	فِـي لَفْـظِ حَـيٍّ طَاهِـرٍ قَـدِ انْحَصَـرْ
وَيَجْمَـعُ الْفَوَاتِـحَ الأَرْبَـعْ عَشَــرْ	صِلْهُ سُحَيْرًا مَنْ قَطَعْكَ، ذَا اشْتَهَرْ

تنبيهات عامة:

١. قد يجتمع اللازم الحرفي المثقل مع المخفف في لفظ واحد نحو: ﴿الٓمٓ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾، فمد «اللام» مثقل، ومد «الميم» مخفف، وكذٰلك الحال في نحو: ﴿طسٓمٓ تِلْكَ ءَايَٰتُ﴾وغيرها.

٢. إذا اجتمع في كلمة واحدةٍ مدان لازمان، مثل: ﴿ الٓمٓ ﴾، ﴿طسٓمٓ﴾وجب التسوية بينهما بمدهما مدا مشبعا.

٣. إذا كان حرف المد في كلمة، والساكن في الكلمة التالية حذف حرف المد عند الوصل؛ تخلُّصاً من التقاء الساكنين، مثل: ﴿وَالْمُقِيمِي اِ۬لصَّلَوٰةِ﴾، ﴿وَقَالُواْ اُ۪تَّخَذَ﴾، ونحوها.

٤. ذُكر في كتب التجويد المتأخرة كثير من التقسيمات للمدود، لكننا آثرنا الاقتصار علىٰ هٰذه الأنواع الخمسة اختصارا؛ لاندراج غيرها تحتها، ولاقتصار كثير من العلماء عليها.

قاعدة أقوى المدود: إذا اجتمع سببان من أسباب المد في كلمة واحدة، أُلغي سبب الضعيف وعُمِلَ بالقوي، مثل: قوله تعالىٰ ﴿وَلَا ءَآمِّينَ اَ۬لْبَيْتَ اَ۬لْحَرَامَ﴾، ففي لفظ: ﴿ءَآمِّينَ﴾، اجتمع سبب مد البدل والمد اللازم، وحيث إن المد اللازم أقوىٰ من البدل؛ فإنه يُعمل بالمد اللازم، فيُمد ست حركات.

- قوله: ﴿وَجَآءُو أَبَاهُمْ﴾فيه: مد بدل، ومد منفصل، فيُلغَىٰ مد البدل، ويُعمَلُ بالمد المنفصل.

- ما تطرَّفت فيه الهمزة وقفا، نحو: ﴿السَّمَآءِ﴾، ﴿اَ۬لسُّوٓءَ﴾، ﴿يُضِيٓءُ﴾، وغيرها، يعمل فيه بسبب المد المتصل لا العارض، ويجوز فيه الإشباع قياسا على العارض؛ لتَقَوِّي الهمز بالسكون.

فأقوى المدود هو: المد اللازم؛ لأنه لا يجوز مدُّه أقلَّ من ست حركات وصلًا ووقفًا، ثم المتصل، ثم العارض، ثم المنفصل، وأضعفها مد البدل؛ لأن سببه متقدم علىٰ شرطه كما مر معنا.

وقد جمع بعضهم مراتب المدود في القوة في قوله:

أَقْوَى الْمُدُودِ لازِمٌ، فَمَا اتَّصَلْ فَعَارِضٌ، فَذُو انْفِصَالٍ، فَبَدَلْ



المبحث الثاني عشر:
«اللحن وأقسامه»

تعريفه: للحنِ في لغة العرب عدة معانٍ، منها: اللغةُ، والطربُ، والعدولُ، والخطأُ، وغيرها.

والمراد باللحن في علم التجويد: هو المعنى الأخير «الخطأ»، كما لا يخفى، ويجمع على: أَلْحان، ولُحُون.

واللحن في الاصطلاح نوعان: جلي، وخفي:

فأما الجلي: فهو خلل يطرأ على الألفاظ، فيُخل بالمعنى، أو بالعُرْف اللُّغوي للكلمة، ويشترك في إدراكه كل عارف بالقراءة وغيره، ممن له دراية باللغة العربية، فمثال الذي يخل بالمعنى ضم التاء، أو كسرها في قوله تعالى: ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾، ومثال الذي يُخِلُّ بالإعراب دون المعنى ضمُّ الهاء من قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾، أو ببنية الكلمة، ككسر الباء من قوله تعالى: ﴿نَعْبُدُ﴾، وهكذا.

وحكم اللحن الجلي: أنه حرام باتفاق إذا تعمده القارئ.

وأما الخفي فهو خطأ مُخِلٌّ بعرف القراءة، أي: التقصير في تجويد ألفاظ القرآن الكريم من جهة التجويد، وهو مراتب، منها: الواضح الجلي، ومنها ما لا يدركه إلا الحُذّاق العالِمُون بمسائل هذا العلم وخفاياه.

والأمثلة على هذا القسم كثيرة جدا، وتتفاوت ظهورًا وخفاءً، ومنها على سبيل التمثيل: ترك الغُنَن، أو التقصير فيها، ونقص المدود أو زيادتها عن الحد المطلوب، وتفخيم المرقق أو العكس، وتكرير الراءات، وغير ذلك من الإخلال بأحكام التجويد المنصوص عليها، التي لا يدركها إلا المختصون بهذا العلم كما سبق.

وقد اختُلف في حكم من وقع في اللحن الخفي في القراءة، فقيل: بالحرمة، وهو مذهب أكثر القُرّاء، وقيل بالكراهة.

قال ابن الجزري: «والناس في ذلك بين محسن مأجور، ومسيء آثم، أو معذور، فمن قَدِر (أي: قَصُر) على تصحيح كلام الله تعالىٰ باللفظ الصحيح العربي الفصيح، وعَدَل إلى اللفظ الفاسد العجمي، استغناءً بنفسه... واستكبارًا عن الرجوع إلىٰ عالم يُوقفه علىٰ صحيح لفظه، فإنه مُقصِّر بلا شك، وآثم بلا ريب. أما من كان لا يطاوعه لسانه، أو لا يجد من يهديه إلى الصواب، فإن الله لا يكلف نفسا إلا وسعها»، اهـ بتصرف.

وأيًّا كان حكم هٰذا القسم من اللحن فإن القارئ ينبغي له أن يجتهد في تلقي القراءة من فم المتقنين، على الوجه الصحيح المنقول عن النبي ﷺ، وألاَّ يرضىٰ لنفسه بدنو الهمة عن بلوغ غاية الإتقان في كتاب الله؛ ليكون مع السَّفَرة الكرام البررة، كما صح عنه ﷺ.

ملحوظة: تيسيرا علىٰ أبنائنا طلاب مراكز التحفيظ في فهم هٰذه الأحكام والقواعد، نسوق إليهم – كما أشرنا في مقدمة هٰذا الفصل - مَتْنَيْ: «تحفة الأطفال»، للإمام: الجمزوري، و«المقدمة»، لابن الجزري؛ لإتقان قراءتهما وحفظهما، سائلين الله لهم التوفيق والإعانة والتيسير.



أولاً: نظم:
«تحفة الأطفال والغلمان في تجويد القرآن»

للشيخ سليمان الجمزوري، من علماء القرن: (١٢هـ).

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مقدمة المنظومة:

يَقُولُ رَاجِي رَحْمَةِ الْغَفُورِ دَوْمًا سُلَيْمَانُ هُوَ الجَمْزُورِي
الْحَمْدُ للَّهِ مُصَلِّيًا عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَمَنْ تَلاَ
وَبَعْدُ: هَٰذَا النَّظْمُ لِلْمُرِيدِ فِي النُّونِ والتَّنْوِينِ وَالْمُدُودِ
سَمَّيْتُهُ بِتُحْفَةِ الأَطْفَالِ عَنْ شَيْخِنَا الْمِيهِيِّ ذِي الْكَمالِ
أَرْجُو بِهِ أَنْ يَنْفَعَ الطُّلاَّبَا وَالأَجْرَ وَالْقَبُولَ وَالثَّوَابَا

أَحْكَامُ النُّونِ السَّاكِنَةِ وَالتَّنْوِينِ:

لِلنُّونِ إِنْ تَسْكُنْ وَلِلتَّنْوِينِ أَرْبَعُ أَحْكَامٍ فَخُذْ تَبْيِينِي
فَالأَوَّلُ الإِظْهَارُ قَبْلَ أَحْرُفِ لِلْحَلْقِ سِتٌّ رُتِّبَتْ فَلْتَعْرِفِ
هَمْزٌ فَهَاءٌ ثُمَّ عَيْنٌ حَاءُ مُهْمَلَتَانِ ثُمَّ غَيْنٌ خَاءُ
والثَّانِ إِدْغَامٌ بِسِتَّةٍ أَتَتْ فِي يَرْمُلُونَ عِنْدَهُمْ قَدْ ثَبَتَتْ
لَٰكِنَّهَا قِسْمَانِ قِسْمٌ يُدْغَمَا فِيهِ بِغُنَّةٍ "بِيَنْمُو" عُلِمَا
إِلاَّ إِذَا كَانَا بِكِلْمَةٍ فَلاَ تُدْغِمْ كَدُنْيَا ثُمَّ صِنْوَانٍ تَلاَ
وَالثَّانِ إِدْغَامٌ بِغَيْرِ غُنَّهْ فِي اللاَّمِ وَالرَّا ثُمَّ كَرِّرَنَّهْ
وَالثَّالِثُ الإِقْلاَبُ عِنْدَ الْبَاءِ مِيمًا بِغُنَّةٍ مَعَ الإِخْفَاءِ
وَالرَّابِعُ الإِخْفَاءُ عِنْدَ الْفَاضِلِ مِنَ الحُرُوفِ وَاجِبٌ لِلْفَاضِلِ

فِي خَمْسَةٍ مِنْ بَعْدِ عَشْرٍ رَمْزُهَا   فِي كِلْمِ هَذَا البَيْتِ قَد ضَمَّنْتُهَا
صِفْ ذَا ثَنَا كَمْ جَادَ شَخْصٌ قَدْ سَمَا   دُمْ طَيِّبًا زِدْ فِي تُقًى ضَعْ ظَالِمَا

أَحْكَامُ النُّونِ وَالمِيمِ المُشَدَّدَتَيْنِ:

وَغُنَّ مِيمًا ثُمَّ نُونًا شُدِّدَا   وَسَمِّ كُلاًّ حَرْفَ غُنَّةٍ بَدَا

أَحْكَامُ المِيمِ السَّاكِنَةِ:

وَالمِيمُ إِنْ تَسْكُنْ تَجِي قَبْلَ الْهِجَا   لاَ أَلِفٍ لَيِّنَةٍ لِذِي الْحِجَا
أَحْكَامُهَا ثَلاَثَةٌ لِمَنْ ضَبَطْ   إِخْفَاءٌ ادْغَامٌ وَإِظْهَارٌ فَقَطْ
فَالأَوَّلُ الإِخْفَاءُ عِنْدَ الْبَاءِ   وَسَمِّهِ الشَّفْوِيَّ لِلْقُرَّاءِ
وَالثَّانِ إِدْغَامٌ بِمِثْلِهَا أَتَىٰ   وَسَمِّ إِدْغَامًا صَغِيرًا يَا فَتَىٰ
وَالثَّالِثُ الإِظْهَارُ فِي الْبَقِيَّهْ   مِنْ أَحْرُفٍ وَسَمِّهَا شَفْوِيَّهْ
وَاحْذَرْ لَدَىٰ وَاوٍ وَفَا أَنْ تَخْتَفِي   لِقُرْبِهَا وَالاتِّحَادِ فَاعْرِفِ

حُكْمُ لَامِ «أَلْ» وَلَامِ الْفِعْلِ:

لِلاَمِ أَلْ حَالاَنِ قَبْلَ الأَحْرُفِ   أُولاَهُمَا إِظْهَارُهَا فَلْتَعْرِفِ
قَبْلَ ارْبَعٍ مَعْ عَشْرَةٍ خُذْ عِلْمَهُ   مِنِ: (ابْغِ حَجَّكَ وَخَفْ عَقِيمَهُ)
ثَانِيهِمَا إِدْغَامُهَا فِي أَرْبَعِ   وَعَشْرَةٍ أَيْضًا وَرَمْزَهَا فَعِ
طِبْ ثُمَّ صِلْ رُحْمًا تَفُزْ ضِفْ ذَا نِعَمْ   دَعْ سُوءَ ظَنٍّ زُرْ شَرِيفًا لِلْكَرَمْ
وَاللاَّمَ الأُولَىٰ سَمِّهَا قَمْرِيَّهْ   وَاللاَّمَ الأُخْرَىٰ سَمِّهَا شَمْسِيَّهْ
وأَظْهِرَنَّ لاَمَ فِعْلٍ مُطْلَقَا   فِي نَحْوِ: قُلْ نَعَمْ، وَقُلْنَا، وَالْتَقَىٰ

فِي المِثْلَيْنِ وَالمُتَقَارِبَيْنِ وَالمُتَجَانِسَيْنِ:

إِنْ فِي الصِّفَاتِ وَالمَخَارِجِ اتَّفَقْ   حَرْفَانِ فَالْمِثْلاَنِ فِيهِمَا أَحَقْ
وَإِنْ يَكُونَا مَخْرَجًا تَقَارَبَا   وَفِي الصِّفَاتِ اخْتَلَفَا يُلَقَّبَا
مُتَقَارِبَيْنِ أَوْ يَكُونَا اتَّفَقَا   فِي مَخْرَجٍ دُونَ الصِّفَاتِ حُقِّقَا
بِالْمُتَجَانِسَيْنِ، ثُمَّ إِنْ سَكَنْ   أَوَّلُ كُلٍّ فَالصَّغِيرَ سَمِّيَنْ
أَوْ حُرِّكَ الحَرْفَانِ فِي كُلٍّ فَقُلْ   كُلٌّ كَبِيرٌ، وافْهَمَنْهُ بِالْمُثُلْ

أَقْسَامُ المَدِّ:

وَالْمَدُّ: أَصْلِيٌّ، وَفَرْعِيٌّ لَهُ   وَسَمِّ أَوَّلاً طَبِيعِيًّا، وَهُو
مَا لاَ تَوَقُّفٌ لَهُ عَلَىٰ سَبَبْ   وَلا بِدُونِهِ الحُرُوفُ تُجْتَلَبْ
بَلْ أَيُّ حَرْفٍ غَيْرُ هَمْزٍ أَوْ سُكُونْ   جَا بَعْدَ مَدٍّ فَالطَّبِيعِيَّ يَكُونْ
وَالآخَرُ الْفَرْعِيُّ مَوْقُوفٌ عَلَىٰ   سَبَبْ كَهَمْزٍ أَوْ سُكُونٍ مُسْجَلا
حُرُوفُهُ ثَلاَثَةٌ فَعِيهَا   مِنْ لَفْظِ (وَايِ) وَهْيَ فِي نُوحِيهَا
وَالكَسْرُ قَبْلَ اليا وَقَبْلَ الْواوِ ضَمْ   شَرْطٌ وَفَتْحٌ قَبْلَ أَلْفٍ يُلْتَزَمْ
وَاللِّينُ مِنْهَا اليا وَوَاوٌ سُكِّنَا   إِنِ انْفِتَاحٌ قَبْلَ كُلٍّ أُعْلِنَا

أَحْكَامُ الْمَدِّ:

لِلْمَدِّ أَحْكَامٌ ثَلاَثَةٌ تَدُومْ   وَهْيَ الْوُجُوبُ وَالْجَوَازُ وَاللُّزُومْ
فَوَاجِبٌ إِنْ جَاءَ هَمْزٌ بَعْدَ مَدْ   فِي كِلْمَةٍ وَذَا بِمُتَّصِلْ يُعَدْ
وَجَائِزٌ مَدٌّ وَقَصْرٌ إِنْ فُصِلْ   كُلٌّ بِكِلْمَةٍ وَهَـٰذَا المُنْفَصِلْ
وَمِثْلُ ذَا إِنْ عَرَضَ السُّكُونُ   وَقْفًا كَـ(تَعْلَمُونَ، نَسْتَعِينُ)
أَوْ قُدِّمَ الْهَمْزُ عَلَى المَدِّ وَذَا   بَدَلْ كَـ(آمَنُوا، وَإِيمَانًا) خُذَا
وَلاَزِمٌ إِنِ السُّكُونُ أُصِّلاَ   وَصْلاً وَوَقْفًا بَعْدَ مَدٍّ طُوِّلاَ

أَقْسَامُ الْمَدِّ اللَّازِمِ:

أَقْسَـــامُ لاَزِمٍ لَدَيْهِـــمْ أَرْبَعَـهْ   وَتِلْـكَ كِلْمِـــيٌّ وَحَرْفِـيٌّ مَعَـهْ
كِلاَهُمَـــا مُخَفَّـــفٌ مُثَقَّـــلُ   فَهَـــذِهِ أَرْبَعَـــةٌ تُفَصَّـــلُ
فَــإِنْ بِكِلْمَــةٍ سُــكُونٌ اجْتَمَـعْ   مَعْ حَـرْفِ مَـدٍّ فَهْوَ كِلْمِـيٌّ وَقَـعْ
أو فــي ثُلاَثِـيِّ الحُـرُوفِ وُجِـدَا   وَالمَـدُّ وَسْـطُهُ فَحَرْفِـيٌّ بَـدَا
كِلاَهُمَـــا مُثَقَّـــلٌ إِنْ أُدْغِمَـا   مَخَفَّـــفٌ كُلٌّ إِذَا لَـــمْ يُدْغَمَـا
وَالـلاَّزِمُ الْحَرْفِـيُّ أَوَّلَ السُّـوَرْ   وُجُـودُهُ وَفِـي ثَمَـانٍ انْحَصَـرْ
يَجْمَعُهَا حُرُوفُ (كَمْ عَسَلْ نَقَصْ)   وَعَيْنُ ذُو وَجْهَيْنِ والطُّولُ أَخَصْ
وَمَا سِوَى الحَرْفِ الثُّلاَثِي لاَ أَلِفْ   فَمَـــدُّهُ مَـــدًّا طَبِيعِيًّـــا أُلِـــفْ
وَذَاكَ أَيْضًـا فِـي فَوَاتِـحِ السُّـوَرْ   فِي لَفْظِ (حَيٍّ طَاهِرٍ) قَدِ انْحَصَرْ
وَيَجْمَـعُ الْفَوَاتِـحَ الأَرْبَـعْ عَشَـرْ   صِلْهُ سُحَيْرًا مَنْ قَطَعْكَ ذَا اشْتَهَرْ

الْخَاتِمَةُ:

وَتَـمَّ ذَا النَّظْـمُ بِحَمْـدِ اللَّـهِ   عَلَـىٰ تَمَامِـهِ بِـلاَ تَنَاهِـي
أَبْيَاتُـهُ (نَـدٌّ بَـداَ) لِـذِي النُّهَـىٰ   تَارِيخُهَا (بُشْرَىٰ لِمَنْ يُتْقِنُهَا)
ثُـمَّ الصَّـلاَةُ وَالسَّـلاَمُ أَبَـدَا   عَلَـىٰ خِتَـامِ الأَنْبِيَـاءِ أَحْمَـدَا
وَالآلِ وَالصَّحْـبِ وَكُلِّ تَابِـعِ   وَكُلِّ قَـــارِئٍ وكُلِّ سَـــامِعِ



ثانيًا:
نظم: «المقدمة الجزرية»

للإمام محمد بن محمد الجزري: (ت: ٨٣٣هـ)

بابا: «مخارج الحروف، وصفات الحروف»:

١- بَابُ مَخَارِجِ الْحُرُوفِ:

مَخَارِجُ الحُرُوفِ سَبْعَةَ عَشَرْ عَلَى الَّذِي يَخْتَارُهُ مَنِ اخْتَبَرْ
فَأَلِفُ الجَوْفِ وأُخْتَاهَا وَهِي حُرُوفُ مَدٍّ لِلْهَوَاءِ تَنْتَهِي
ثُمَّ لأَقْصَى الحَلْقِ هَمْزٌ هَاءُ ثُمَّ لِوَسْطِهِ فَعَيْنٌ حَاءُ
أَدْنَاهُ غَيْنٌ خَاؤُهَا، والْقَافُ أَقْصَى اللِّسَانِ فَوْقُ ثُمَّ الْكَافُ
أَسْفَلُ، وَالْوَسْطُ فَجِيمُ الشِّينُ يَا وَالضَّادُ مِنْ حَافَتِهِ إِذْ وَلِيَا
لَاضْرَاسَ مِنْ أَيْسَرَ أَوْ يُمْنَاهَا وَاللَّامُ أَدْنَاهَا لِمُنْتَهَاهَا
وَالنُّونُ مِنْ طَرَفِهِ تَحْتُ اجْعَلُوا وَالرَّا يُدَانِيهِ لِظَهْرٍ أَدْخَلُ
وَالطَّاءُ وَالدَّالُ وَتَا مِنْهُ وَمِنْ عليا الثَّنَايَا، وَالصَّفِيرُ مُسْتَكِنْ
مِنْهُ وَمِنْ فَوْقِ الثَّنَايَا السُّفْلَىٰ وَالظَّاءُ وَالذَّالُ وَثَا لِلْعُلْيَا
مِنْ طَرَفَيْهِمَا وَمِنْ بَطْنِ الشَّفَهْ فَالْفَا مَعَ اطْرَافِ الثَّنَايَا الْمُشْرِفَهْ
لِلشَّفَتَيْنِ الْوَاوُ بَاءٌ مِيمُ وَغُنَّةٌ مَخْرَجُهَا الخَيْشُومُ

٢- بَابُ صِفَاتِ الْحُرُوفِ:

صِفَاتُهَا جَهْرٌ وَرِخْوٌ مُسْتَفِلْ مُنْفَتِحٌ مُصْمَتَةٌ، وَالضِّدَّ قُلْ
مَهْمُوسُهَا فَحَثَّهُ شَخْصٌ سَكَتْ شَدِيدُهَا لَفْظُ: أَجِدْ قَطٍ بَكَتْ
وَبَيْنَ رِخْوٍ وَالشَّدِيدِ: لِنْ عُمَرْ وَسَبْعُ عُلْوٍ خُصَّ ضَغْطٍ قِظْ حَصَرْ

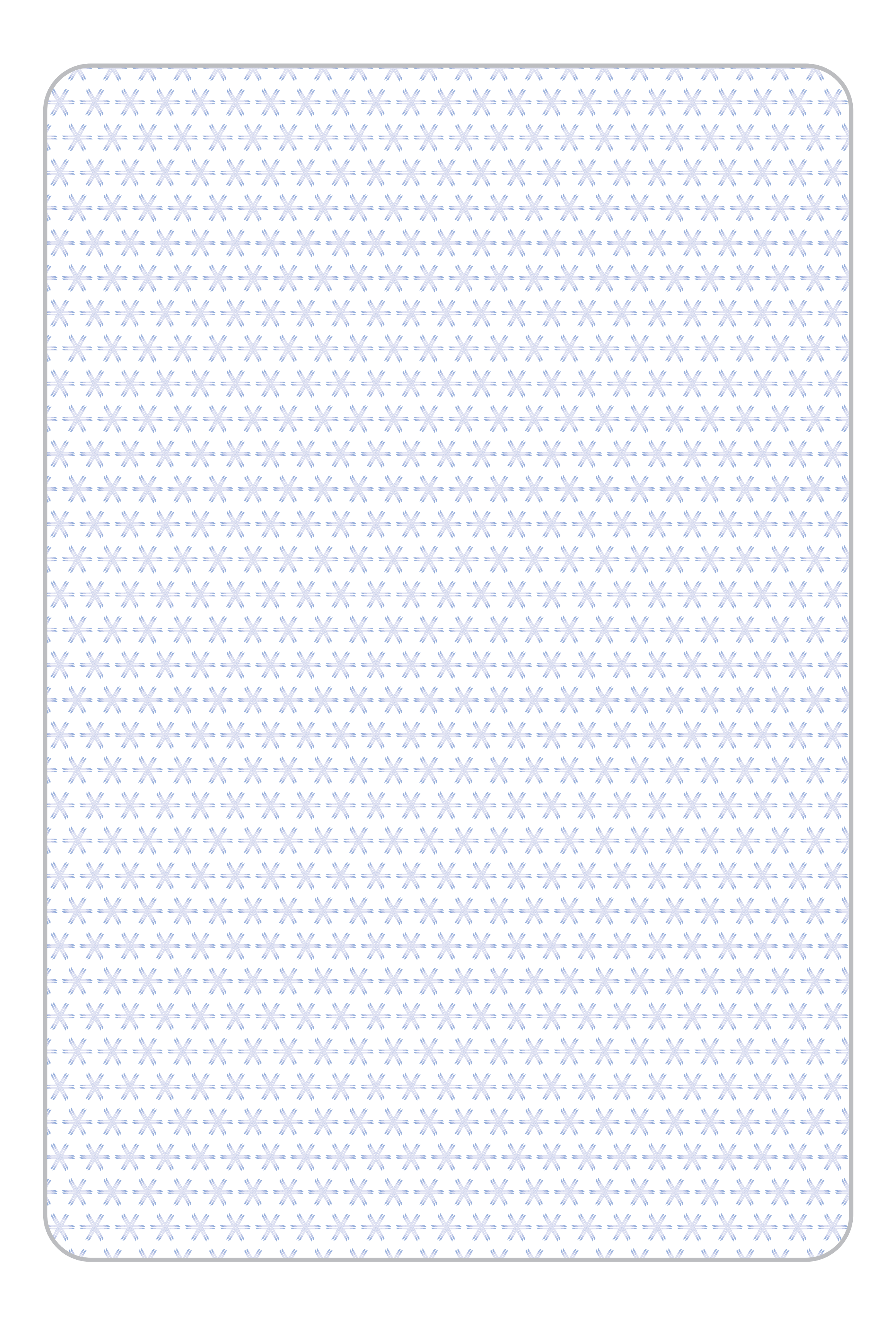
وَصَادُ ضَادُ طَاءُ ظَاءُ مُطْبَقَهْ   وَفَرَّ مِنْ لُبِّ الحُرُوفُ المُذْلَقَهْ
صَفِيرُهَا صَادٌ وَزَايٌ سِينُ   قَلْقَلَةٌ: قُطْبُ جَدٍ، وَاللِّينُ:
وَاوٌ وَيَاءٌ سُكِّنَا، وَانْفَتَحَا   قَبْلَهُمَا وَالانْحِرَافُ صُحِّحَا
فِي اللاَّمِ وَالرَّا وَبِتَكْرِيرٍ جُعِلْ   وَلِلتَّفَشِّي الشِّيْنُ ضَادًا اسْتَطَلْ





الفصل الثالث:

أصول رواية الإمام قالون عن الإمام نافع المدني



«تمهيد»

استدعىٰ هٰذا الفصل أن يُمَهَّدَ له ببيان بعض مصطلحاته، والتعريف بالأصول، والرواية، وبقالون، وشيخه، وفق الآتي:

أوّلاً: الأصول: في اللغة: جمع أصل، والأصل أساس الشيء، وقاعدته، وما ينبني عليه غيره.

واصطلاحـًا: هي القواعد الكلية المطردة الثابتة في معظم جزئياتها من النظائر التي يصح أن تبنىٰ عليها، كأحكام ميم الجمع، وهاء الكناية، والهمزات، والمدود، والفتح والإمالة، ونحوها.

وقد اقتضى التعريف بالرواية التعريف بالقراءة، وبالطريق من بعدها.

أولاً: القراءة، هي لغةً مصدرٌ للفعل: قَرَأَ، يَقْرَأُ، قِراءة، وقُرآنـًا، ومعناها: الجمع، والضم، وقد سمِّيَ الكتاب المنزَّل علىٰ سيِّد الكائنات محمَّدٍ ﷺ قرآنًا؛ لأنه يجمع السور، فيضمها، قال تعالىٰ:﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴾، بالقيامة، أي: جمعه وقراءته.

والقراءة اصطلاحًا: كلُّ خلافٍ نُسِبَ إلىٰ إمام من الأئمة العشرة مما أجمع عليه راوياه.

ثانيـًا: الرواية، هي لغةً: مصدرٌ للفعل: رَوَىٰ يَرْوِي، روايةً، ومعناه: سَوْق الخبر مشافهةً.

واصطلاحًا: كلُّ خلافٍ نُسِبَ إلى الراوي عن الإمام ولو بواسطة.

ثالثـًا: الطريق، هي لغةً: السبيل، وهي ممَّا يُذكَّر ويُؤنَّث، وتذكيرُه لُغَة أهل نَجْدٍ، وتأنيثه لُغَةُ أهل الْحِجَازِ.

واصطلاحًا: كلُّ خلافٍ نُسِبَ إلى الآخذ عن الراوي وإن سفُل.

ولبيان المصطلحات الثلاثة نسوق الأصل المختلف فيه بين القُرّاء، وهو إثبات البسملة، فهو قراءة ابن كثيرٍ ومن معه، ورواية قالون عن نافع، وطريق الأصبهاني عن ورش.

ثانيـًا: التعريف بالإمامين: (نافع)، و(قالون):

الإمام نافع: هو نافع بن عبد الرحمٰن بن أبي نعيم، أبو رويم، أصفهاني الأصل، وُلِدَ سنة سبعين للهجرة، أحدُ القراء السبعة المشهورين، كان عالمًا بوجوه القراءات والعربية، وهو إمامُ دار الهجرة في القراءة بعد شيخه الإمام أبي جعفر يزيد بن القعقاع، وقد أخذ الإمام نافع القراءة عرضًا عن سبعين من التابعين، وكان إذا تحدَّث تفُوح من فمه رائحة المسك، توفي رحمه الله تعالىٰ سنة: تسع وستين ومائة للهجرة.

الإمام قالون: هو عيسىٰ بن مينا بن وردان بن عيسىٰ، يُكْنىٰ أبا موسىٰ، ولد سنة: عشرين ومائة للهجرة، قارئُ المدينة ونحويُّها بعد شيخه، وقد لقَّبه شيخه نافع بـ(قالون)؛ لجودة قراءته؛ لأن (قالون) باللغة الرومية تعني: الجيد، تُوُفِّي – رحمه الله تعالىٰ – بالمدينة سنة: عشرين ومائتين للهجرة.





المبحث الأول:
«الِاستعاذة»

تعريفها: لغةً: مصدر الفعل: اسْتَعَاذَ، بمعنىٰ طلبَ العوذ، وهو الاحتماءُ، والاعتصامُ.
واصطلاحـًا: طلبُ العصمة والاحتماء بالله من شرِّ وساوس الشيطان ومكايِده.

حكمها: ذهب بعض العلماء إلى القول بوجوبها؛ بحجَّة الأمر الوارد في قول الله تعالىٰ:﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾، بالنحل، وذهب جمهورهم إلى القول باستحبابها، وهو المشهور، وحجَّتهم أنَّ الامر لا يُحْمَلُ دائمـًا علىٰ سبيل الوجوب، بل قد يُحْمَلُ أحيانا على النَّدب، ثمَّ إنَّ الاستعاذة ليست من القرآن الكريم بالإجماع، بدليل أنَّها لم تثبت في رسوم جميع المصاحف.

صيغتها المشهورة: الذي عليه العمل والاختيار: (أَعُوذُ بِاللَّهِ مِن ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ)، وإن زاد القارئ شيئًا من الألفاظ الواردة عن النبي ﷺ بأن قال مثلًا: (أَعُوذُ بِاللَّهِ ٱلسَّمِيعِ ٱلعَلِيمِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ)، فلا يُلَامُ، ولا يُعَابُ عليْه ذٰلك.

أحوالها: للاستعاذة حالان: أولاهما: الجهر بها، وأُخراهما الإسرار بها، وقد استدلَّ من قال بالجهر بها أنَّها جُعلت شعاراً للتلاوة؛ حتىٰ لا يفوتَ السامعَ شيءٌ من القرآن، واستدلَّ من قال بالإسرار بها بأنَّها في حُكم الدعاء، والدعاءُ يستحبُّ فيه الإسرار؛ دفعـًا للرياء والعُجْب، كما استدلَّ علىٰ إسراره بها بحجَّة التفريق بين ما هو قرآن وما ليس بقرآنٍ. وجمع فريقٌ ثالثٌ بين الإسرار بها في مواطن، والجهر بها في مواطن أُخَر، فيُسَرُّ بها في الآتي:

١ـ إذا كان القارئُ يقرأ سرًّا، سواء أكان منفردًا أم في مجلسٍ.
٢ ـ إذا كان في خلوة، سواء قرأ سرًّا أو جهرًا.
٣ ـ إذا كان في الصلاة، سريَّةً كانت أو جهرية، منفردًا كان أو مأمومًا أو إمامًا.
٤ ـ إذا كان في حلقة علمية، تدورُ فيها القراءة، ولم يكن هو المبتدئَ بالقراءة.

ويجهر بالاستعاذة فيما عدا ذٰلك.

أوجهها مع البسملة وأوائل السُّور:

إذا اقترنت الاستعاذة بالبسملة، والبسملة بأول السورة -باستثناء سورة التوبة- فللقُراء فيها أربعة أوجه:

الأول: قطعُ الجميع، بأن يقف القارئ على الاستعاذة، وعلى البسملة، ويبتدئ بأول السورة؛ لتمام المعنىٰ في كلٍّ.

الثاني: قطعُ الأول، ووصل الثاني بالثالث، بأن يقف القارئ على الاستعاذة، ويصل البسملة بأول السورة؛ تنبيهًا علىٰ عدم قرآنيَّة الاستعاذة.

الثالث: وصلُ الأول بالثاني، وقطع الثالث، بأن يصل القارئُ الاستعاذة بالبسملة، ويقف على البسملة، ثم يبتدئ بأوَّل السورة؛ تنبيهًا علىٰ عدم قرآنيَّة الاستعاذة، وعدم كون البسملة آيةً من أوائل السور، كما هو مذهب غير الشافعيَّة.

الرابع: وصلُ الجميع، بأن يصل القارئ الاستعاذةَ بالبسملة، ويصل البسملة بأول السورة؛ تنبيهًا علىٰ جواز وصل المعاني المختلفة بعضها مع بعض.

أوجهها مع أوائل الأجزاء: يُقْصدُ بالأجزاء هنا ما عدا أول السورة، ولو كانت الكلمة الثانية منها كـ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ﴾.

ولِلاستعاذة مع أوائل الأجزاء جوازُ الإتيان بالبسملة بينهما، وعدمُ الإتيان، والإتيانُ بها مقدَّمٌ علىٰ عدم الإتيان بها؛ للثواب المرجو تحصيلُه من قراءتها، فإن أُتِيَ بها فالأوُجه المقروء بها هي الأوجُهُ الأربعة الآنفة الذّكْر، وإن لم يؤتَ بها فليس للقارئ إلاَّ وجهان، أولهما: قطعُ الجميع، بأن يقطع آخر الاستعاذة عن أول الجزء. وثانيهما: وصلُ الجميع، بأن يَصِلَ آخر الاستعاذة بأول الجزء.

تنبيهان:

الأول: إذا اختار القارئ وَجْهَ الوصل فعليه ألاَّ يصلَ آخر الاستعاذة بأوَّل الجزء المبدوء بما أُبْهِمَ من الأسماء من نحو: (الذي) في قوله تعالىٰ: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴾،

ومثل (هاء الغائب) في نحو قوله: ﴿إِلَيۡهِ يُرَدُّ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِۚ﴾؛ وذلك لِمَا في الوصل من بشاعة عَوْدِ الضمير إلىٰ أقرب مذكورٍ له في المثال الثاني، وهو (الشيطان الرجيم)، وكونه صفةً ثانية له في المثال الأوَّل، ولا يُرَدُّ عِلْمُ الساعة إلاَّ إلى الله، ولاَ خَالِقَ إلاَّ اللهُ.

الثاني: إذا قطع القارئ قراءتَه بكلامٍ أجنبيٍّ عن القراءة لزمه الإتيانُ بالاستعاذة في مذهب القائلين بوجوبها، ويُسْتَحَبُّ له الإتيانُ بها في مذهب القائلين باستحبابها. أمَّا إذا قطعها بكلامٍ متصلٍ بالقراءة من تفسيرٍ أو توجيهٍ، أو نحوهما، أو قطعها لأمرٍ ألمَّ به من العطاس، أو السُّعال، أو ضيق النَّفَس، أو النسيان، أو ما إلىٰ ذلك ممَّا يطرأُ للقارئ حال قراءته فلا يعيدها.



المبحث الثاني:
«البسملة»

تعريفها: لغةً مصدر الفعل: بَسْمَلَ، وهي من باب النحت الذي هو اختصار كلمتين أو أكثر في كلمة واحدة، من نحو قولهم: الحَمْدَلة، اختصارًا لـ(الحمد لله)، والهَيْلَلة، اختصارًا لـ(لا إله إلا الله)، والحَوْقَلة، اختصارًا لـ(لا حول ولا قوة إلا بالله).

واصطلاحـًا: هي قولُك: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، أو كتابتُك إيَّاها، والبسملة مرادفةٌ للتسمية.

مذهب الإمام قالون في البسملة بين السورتين: أثبت قالونُ البسملةَ بين السورتين من الفاتحة حتى الناس، باستثناء ما وقع في التلاوة قبل سورة التوبة، سواء سبَقها في الترتيب المصحفي، أو جاء تاليًا لها.

أمَّا حال الابتداء بالسورة فلا بد من الإتيان بالبسملة -فيما عدا سورة براءة- لجميع القراء.

أوجه البسملة وصلًا ووقفًا: للبسملة بين السورتين وقفًا ووصلًا ثلاثة أوجه جائزة، ورابع ممنوع، باستثناء نهاية الأنفال مع بداية براءة. وهٰذه الأوجه هي:

الأول: قطعُ الجميع، بأن يقف القارئ علىٰ نهاية السورة، ثم يأتي بالبسملة ويقف عليها، ثم يبتدئ بالسورة.

الثاني: قطعُ الأول ووصل الثاني بالثالث، بأن يقف علىٰ نهاية السورة، ثم يأتي بالبسملة موصولة ببداية السورة.

الثالث: وصلُ الجميع؛ أي: وصل نهاية السورة بالبسملة، ووصل البسملة مع بداية السورة اللاحقة.

الرابع: وصلُ نهاية السورة مع البسملة، والوقف عليها، وهٰذا هو الممنوع؛ لئلاَّ يتوهَّم السَّامع أن البسملة آيةٌ من تلك السورة التي خُتِمَتْ، والبسملة قد جعلت لأوائل

السور لا لأواخرها، قال الإمام الداني: والقطع عليها -أي: البسملة- إذا وصلت بأواخر السور؛ غير جائز، وقال الإمام الشاطبي:

وَمَهْمَا تَصِلْهَا مَعْ أَوَاخِرِ سُورةٍ فَلَا تَقِفَنَّ الدَّهْرَ فِيهَا فَتَثْقُلَا

أمَّا نهاية الأنفال، ونهاية ما قبلها من السور في ترتيب المصحف مع بداية براءة فلجميع القراء فيها ثلاثة أوجه:

الأول: الوقف، هو أن يقف القارئ على نهاية الأنفال مع تنفس بنية استئناف القراءة من غير بسملة.

الثاني: السكت، هو أن يسكت القارئ سكتة لطيفة من غير تنفُّس، ثم يُكْمِلَ من غير بسملة.

الثالث: الوصل؛ أي: يصل القارئُ نهاية الأنفال مع بداية براءة بلا توقُّف، ومن غير بسملة.

وليس لهم -جميعًا- فيما بينها وما تلاها سوى الوقف، بما في ذٰلك خاتمتها مع بدايتها.

تنبيهات:

الأول: يُؤتىٰ بالبسملة في أوائل السور؛ إرادةً للتبرك بذكر أسماء الله وصفاته، وتأكيدًا علىٰ ثباتها؛ للاستفتاح في المصحف، فهي للابتداء بالسورة، وليست آيةً من الفاتحة ولا من غيرها عند أكثر العلماء.

ثانيًا: يستوي في إثبات البسملة بين السورتين ما جاء من السور مرتَّبًا في التلاوة أو غير مرتَّب، كأن قُرِئَتْ سورة البقرة متبوعةً بآل عمران أو متبوعةً بسورة الفتح.

قال الإمام الطِّيبي في منظومته:

وَبَيْنَ سُورَتَيْنِ لَم تُرَتَّبا مَا بَيْنَ مَا رُتِّبَتا قَدْ أُوجِبَا
وإِنْ تصِلْ آخِرَهَا بِالأَوَّلِ لَهَا فَلِلْجَمِيعِ قَال بَسْمِلِ

ثالثًا: العلة في ترك البسملة عند أول براءة فيها أقوال عدة، أشهرها: أنَّ البسملة أمانٌ، وبراءة نزلت بالسيف، ولا تناسُبَ بين السيف والأمان، وأنّها لم تُدرجْ في المصاحف العثمانيَّة.

رابعًا: لا فرق بين أجزاء براءة وأجزاء غيرها من السور في جواز الإتيان بالسملة وتركها، وألحق بعض أهل الأداء أجزاء براءة بأولها في عدم جواز البسملة معها.

خامسًا: تعارف القُرَّاء في بلادنا على الوقف الهَبْطي، ومنهم من التزم به، وهناك أربعة وقوف وقف عليها عند البسملة، هي: سورة القيامة، والمطففين، والبلد، والهمزة، فمن أخذ بالوقف الهَبْطي فليس له إلا قطع الجميع.



المبحث الثالث:
«ميمُ الجمع»

تعريفها: هي الميمُ الزائدة الدالة علىٰ جماعة المذكَّرين حقيقة نحو: ﴿عَلَيْهِمْ﴾، ﴿إِلَيْهِمْ﴾، أو تنزيلا، نحوُ: ﴿فَمَا ءَامَنَ لِمُوسَىٰ إِلاَّ ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَّفْتِنَهُمْ﴾ بيونس، فيخرج من هٰذا التعريف الميم الأصلية؛ نحو: (كَمْ)، والميم المعُتَمِدةُ عليها ألف التثنية؛ نحو: (إليهما).

علاماتها: تُعْرَف ميم الجمع بأن يسبقها أحد أربعة أحرف: (التاء)، و(الكاف)، و(الهاء)، و(الهمزة)، وهي مجموعةٌ في كلمة: (أهتك)، نحو: (أنتم)، و(عليكم)، و(عليهم)، و(هاؤم).

أحوال ميم الجمع: لميم الجمع حالان: أولاهما: أن تقع قبل متحرِّكٍ، وأُخراهما: أن تقع قبل ساكنٍ.

فإذا وقعت قبل ساكنٍ فليس لقالونَ فيها إلاَّ تحريكُها بالضمِّ من غير صلةٍ، نحوُ قوله تعالىٰ: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾، بالبقرة، وقوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ﴾، بالمائدة.

وإذا وقعت قبل متحرِّكٍ فله فيها وجهان: **أحدهما:** الإسكان، وهو المقدم في الأداء.

ثانيهما: الصلة، وذٰلك بأن تُضَمَّ الميمُ، وتُوصَلَ بواوٍ لفظيَّةٍ لا خطيَّةٍ، تمدُّ بمقدار حركتين مدًّا طبيعيًّا إنْ أُتبعتْ بغير الهمز، وبمقدار حركتين أو أربع حركاتٍ إن أُتبعَ بالهمز، نحوُ قوله تعالىٰ: ﴿يَٰأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُواْ لاَ تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلاَ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾، بالمنافقون.

ووجْهُ الصلة أنَّها الأصل في ميم الجمع؛ إذ الأصل فيها أنَّها موصولة بواوٍ في اللفظ والخط، كما هو حالها في: ﴿دَخَلْتُمُوهُ﴾، و﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا﴾، ثمَّ حذفت الواو في نحو: ﴿أَنتُمْ﴾، و﴿إِلَيْكُمْ﴾؛ تخفيفًا، وبُولِغَ في التخفيف بحذف حركة الضمَّة منها، فآل النطق إلىٰ ما هو مقروءٌ به في الوجه الأول.

تنبيهات:

يُشترط في صلة ميم الجمع أن تكون منفصلة عمَّا بعدها، فإن كانت متصلة بما بعدها، كما جاء في نحو: ﴿دَخَلْتُمُوهُ﴾ و﴿سَمِعْتُمُوهُ﴾ ، فلا خلاف بين القراء في صلتها، وعلىٰ هٰذا جاء رسم المصحف.

٢ - تعدُّ صلةُ ميمِ الجمع من قبيل المد المنفصل متىٰ أُتبعت الواوُ اللفظيَّةُ بهمزة القطع؛ ولذا جاز القصر والتوسط، علىٰ ما سيأتي بيانهُ في باب المدِّ القصر.



المبحث الرابع:
«هاء الكناية»

تعريفها: هي الهاء الزائدة الدالة على المفرد الغائب المذكر، وتسمىٰ (هاء الضمير)، فيخرج من هٰذا التعريف الهاء الأصلية، نحو: ﴿نَفْقَهُ﴾، والهاء الدالة على المفردة الغائبة المؤنثة؛ نحو: ﴿إِلَيْهَا﴾، والهاء الدالة على المثنىٰ والجمع؛ نحو: ﴿بِهِمَا﴾، ﴿عَلَيْهِمْ﴾، ﴿عَلَيْهِنَّ﴾.

والأصل في هٰذه الهاء بناؤها على الضمِّ؛ لأنَّه لَـمَّا كان من صفاتها الخفاء اختِير لها من الحركات أثقلُها؛ لتتقوَّىٰ بها، ثمَّ أُريدت المبالغة في تقويتها، فوُصِلَتْ بواو في اللفظ، فصار الأصل العام لها أنَّها محرَّكةٌ بالضمِّ، غير أنَّها تُبنىٰ على الكسر متىٰ سُبِقَتْ بكسرةٍ أو بياءٍ ساكنةٍ سكون مدٍّ أو سكون لينٍ، من نحو: (بِهِ) و(فِيهِ) و(عَلَيْهِ)؛ طلبًا للتجانس. وقد تسكَّنُ طلبًا للتخفيف.

وتتصل هٰذه الهاء بأقسام الكلمة الثلاثة: الاسم، نحو: ﴿أَهْلَهُۥ﴾، والفعل؛ نحو: ﴿يُحَاوِرُهُۥ﴾، والحرف؛ نحو: ﴿عَلَيْهِ﴾.

أحوال هاء الكناية: لها أربع أحوال:

الأولىٰ: أن تقع بين متحركين، نحو قوله تعالىٰ: ﴿كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾، بالبقرة، وحُكم الهاء في هٰذه الحالة أنها توصل بواو في اللفظ إن كانت مضمومة، وبياء لفظيَّةٍ إن كانت مكسورة، إلاّ ما استثني ممّا سيأتي بيانه لاحقًا.

الثانية: أن تقع بين متحرك وساكن؛ نحو قوله تعالىٰ: ﴿لَهُ ٱلْمُلْكُ﴾، بالبقرة.

الثالثة: أن تقع بين ساكنين؛ نحو قوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِےٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾، بالبقرة.

الرابعة: أن تقع بين ساكن ومتحرك؛ نحو قوله تعالىٰ: ﴿فِيهِ هُدىً﴾، بالبقرة.

وحُكم الهاء في هٰذه الأحوال الثلاث أنها لا توصل لقالون.

مذهب الإمام قالون في الهاءات التسع المختلف فيها:

روىٰ قالونُ ثمانيَ كلماتٍ مما اتَّصلت بها هاءَاتُ الكناية المختلف فيها بين القراء بالقصر من دون صلة، وروى الهاء في كلمة من تلك الكلمات التسع بالوجهين: القصرِ والصلةِ، والقصرُ هو المقّدم عنده. وإليك بيان هٰذه الكلمات:

أولًا: الكلمات الثمانية التي رواها بالقصر، هي: ﴿يُؤَدِّهِ﴾، بآل عمران في موضعيها، و﴿نُؤْتِهِ﴾، بآل عمران، والشورىٰ، و﴿نُوَلِّهِ﴾، ﴿وَنُصْلِهِ﴾، كلتاهما بالنساء، و﴿أَرْجِهِ﴾، بالأعراف، والشعراء، و﴿فَأَلْقِهِ﴾، بالنمل، و﴿وَيَتَّقِهِ﴾، بالنور، و﴿يَرْضَهُ﴾، بالزمر.

ثانيًا: الكلمة التي رواها بالوجهيْن: القصر، والصلة، هي قوله: ﴿يَأْتِهِ﴾، بطه.

فأما وجْهُ قصره الهاءَ في الكلمات الثمانية الأُوَل فإنَّه اعتدَّ بأصولها؛ إذ الهاء فيها واقعةٌ بين ساكنٍ ومتحرِّكٍ، قبل وقوعها موقع الجزم أو ما يُشبِهُهُ، فالأصل في: ﴿يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ﴾: (يؤدِّيه إِليك)، حيث وقعت الهاء بين الياء الساكنة سكون مدٍّ، والهمزة المكسورة بعدها، فلأجل ذٰلك قَصَر الهاء ولم يصلها.

أما وجْهُ قصرِه الهاءَ وصلتِه إيَّاها في: ﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِناً﴾ بطه، فاعتدادُهُ بالأصل والعارض معًا، ووجهُ تخصيصه هٰذا الموضع دون ما شابهه من المواضع الثمانية الآنفة الذكر، يرجع-فيما يبدو- إلىٰ تفرُّده بوقوع الهاء فيه قبل الضمِّ الذي في ﴿مُؤْمِناً﴾، والخروج من الكسر إلى الضم فيه ثِقَلٌ، فَاسْتُعِينَ بالصلة علىٰ تخفيف وطأة ذٰلك الثقل.

تنبيهات:

الأول: إذا وقعتْ هاء الكناية بين متحركين ثانيهما همزةُ قطعٍ، فلقالون فيها حينئذ وجهان: **أولهما**: الصلة مع القصر، **وثانيهما**: الصلة مع التوسط؛ لأن المدَّ من قبيل المدّ المنفــصل، وسيأتي الحديث مفصلًا في باب المد والقصر.

الثاني: أنَّ الصلة في الهاء لا تكون إلا في حالة الوصل.

الثالث: يُطلق مصطلح القصر والاختلاس في باب هاء الكناية، ويرادُ بهما ترك المدِّ بالكلية، وذلك بأن تُلفظ الهاءُ مضمومةً، أو مكسورةً من غير أن تُشْبَعَ حركتاهما، وقد يعبَّر عن الصلة بالإشباع.

الرابع: هناك كلمةٌ ورد فيها خلاف بين القراء السبعة، حيث سكَّنها بعضهم وحرَّكها الآخرون بالضمِّ مع الصلة، وقد رواها قالونُ بالصلة، وهذه الكلمة هي قوله: ﴿يَرَهُۥ﴾، بموضعين في الزلزلة، وثالث في البلد.

ووجهُ روايته هاءَ ﴿يَرَهُۥ﴾ بالصلة مَرَدُّه إرادةَ تعويضِ الكلمةِ عمَّا حُذِفَ منها بسبب النَّقل والجزم؛ إذ إنَّ أصلها: (يَرْأَيُ)، تحركَّت الياء إِثْرَ فتحٍ، فقُلبت ألفًا، ثمَّ نُقلت حركةُ الهمزة إلى الراء الساكنة قبلها، فتحرَّكت الراء بفتحة الهمزة، وأُلغيت الهمزة بالكليَّة، فصار الفعل: (يَرَىٰ)، ثمَّ وقع الفعل موقع الجزم في جواب الشرط، فجُزِم، وكانت علامة الجزم حذف حرف العلة، ولما بقي الفعل (يرىٰ) علىٰ حرف أصلي واحد، وهو الراء، جعلوا الصلة تعويضا عما حُذف منه.

قال ابن بَرِّي:

وَلَم يَكُن يَرَاهُ فِي هَاءِ يَرَه   مَعْ ضَمِّهَا وجَزْمِهِ إذ غيَّرَه
لِفَقْدِ عَيْنِه وَلَامِهِ فَقَدْ   نَابَ لَهُ الْوَصْل مَنَابَ مَا فَقَدْ

الخامس: تُلحق بهاء الكناية في الحكم الهاءُ في اسم الإشارة للمفردة المؤنثة في كلمة: (هٰذه)، في جميع القرآن الكريم، فتوصل بياء لفظية إذا وقعت بين متحركين؛ نحو قوله تعالىٰ: ﴿هَٰذِهِۦ بِضَاعَتُنَا﴾، بيوسف، وتحذف هٰذه الصلة إذا وقع بعدها ساكن؛ تخلصًا من التقاء الساكنين؛ كقوله تعالىٰ: ﴿وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ﴾، بالزخرف.

قال ابن بري:

وَهَاء هَٰذِه كَهَاء الْمُضْمَرِ   فَوَصْلُهَا قَبْلَ مُحَرَّكٍ حَرِي

المبحث الخامس:
«المد والقصر»

تبيَّن – من قبلُ في أحكام التجويد – مفهومُ المدِّ والقصر، وأنَّ المدَّ ينقسم إلىٰ أصليٍّ، وفرعيٍّ: فالأصليُّ لا يتوقف علىٰ وجود سببٍ، بل يكفي فيه وجود أحدِ أحرُف المد الثلاثة. والفرعيُّ هو المد الزائد على الأصليِّ، وهو المتوقِّفُ علىٰ وجود سببٍ من أسباب المد، التي هي الهمزُ، أو السكونُ.

وسيقتصر الكلام في أصول رِواية الإمام قالون علىٰ ما جاء الهمز فيه سببا لإطالة أحرُف المدِّ؛ نظراً لاختلاف القراء في مقادير مدِّه. أمَّا ما سببُه السكون فالقراء مُجمِعون فيه علىٰ لُزوم مدِّ ما لَزِمَ سكونُه وصلًا ووقفًا، وجواز القصر والتوسُّط والإشباع فيما عرض سكونُه لأجل الوقف، وما أجمع القراء علىٰ قراءته بكيفيَّةٍ واحدةٍ، أو بكيفيَّاتٍ متنوعةٍ متَّفقٍ علىٰ جوازها لا حاجة لبيانه في درس أصول القراءة؛ إذ إنَّ المقصود من عقد هٰذه الأصول وتوضيحِها بيانُ ما اختلف فيه القراء، وتعدَّدت كيفيات نطقه، كلٌّ علىٰ حدة.

وفيما يأتي بيانٌ لِمَا خالف فيه قالونُ بعضَ القراء في باب المدِّ، وذٰلك في الأنواع الثلاثة الآتية:

أولًا: المد المتَّصل:

بيَّنَّا في أحكام التجويد أنَّ المدَّ المتَّصل: هو ما جاء فيه بعد حرف المد همزٌ متَّصلٌ به في كلمةٍ واحدةٍ، سواء أكان الهمز في وسط الكلمة، نحو: ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾، و﴿أَبْنَآؤُكُمْ﴾، و﴿هَنِيٓـًٔا﴾، أم في آخرها نحو: ﴿ٱلسَّمَآءِ﴾، و﴿ٱلسُّوٓءِ﴾، و﴿ٱلنَّبِيٓءُ﴾.

مذهب قالون فيه:

لقالون في هٰذا النوع التوسُّط وصلًا ووقفًا، فيما توسَّط سببُه في ثنايا الكلمات نحوُ: ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾، و﴿أَبْنَآؤُكُمْ﴾، وله التوسُّط كذٰلك فيما تطرَّف سببُه في نهايات الكلمات حال الوصل وحال الوقف بما يعرف بالروم، كما له التوسُّط والإشباع إن وُقف عليه بالسكون المحض، أو بالإشمام، وذٰلك في نحو: ﴿ٱلسَّمَآءِ﴾، و﴿يُضِيٓءُ﴾، و﴿ٱلسُّوٓءِ﴾؛ بحجَّة تقوِّي الهمز بالسكون العارض.

سبب مدِّه:

احتُجَّ لجميع القراء بأنَّ اتِّصال حرفِ المد بالهمزة في كلمة واحدةٍ أوجب الزيادة في صوته؛ وذلك لأجل التمكُّن من النطق بالهمز على حقِّه، لِمَا اتَّصف به من الجهر والشدَّة. قال ابن الجزري: وَوَجْهُ المد لأجل الهمز أن حرف المد خفيٌّ، والهمز صعبٌ، فزيدَ في الخفيِّ ليتمكن من النطق بالصعب.

ثانيًا: المد المنفصل:

بيَّنَّا -من قبلُ- أنَّ المد المنفصل: هو ما جاء فيه بعد حرف المد همزٌ منفصلٌ عنه في كلمة أخرى، وذلك بأن يكون حرف المد آخر الكلمة الأولى، والهمزة في أول الكلمة الأخرى، وينبغي أن يعلم الدارس أنَّ المدَّ المنفصل يأتي على نوعين: (حقيقيٍّ، وحكميٍّ).

أوَّلًا: الحقيقيّ، هو أن يكون حرف المدِّ واللين ثابتًا في اللفظ والرسم، نحو: ﴿بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾، بالبقرة، ونحو: ﴿يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ﴾، بغافر، ونحو: ﴿قُوا أَنفُسَكُمْ﴾، بالتحريم.

ثانيًا: الحكميُّ: هو أن يكون حرف المد واللين ساقطًا في الرسم، ثابتًا في اللفظ، وذلك في ياء النداء من نحو قوله تعالى: ﴿يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾، بهود، وكذلك هاء التنبيه نحو: ﴿هَا أَنتُمْ هَؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، بالنساء، وقد سقط حرفُ المدِّ خطًّا من هاء الكناية الموصولة بواوٍ لفظيةٍ أو بياءٍ في نحو قوله تعالى: ﴿وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ﴾، بالبقرة، وقوله: ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾، بالكهف، وكذا من ميم الجمع عند من يصلها بواوٍ في اللفظ، كما في قوله تعالى: ﴿لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ﴾، بالبقرة.

وآخر مواضع هذا النوع من المدِّ المنفصل الياءات الزائدة في التلاوة على رسم المصاحف العثمانيَّة متى أتبعت بالهمز، في نحو قوله تعالى: ﴿قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي﴾، بطه.

مذهب قالون فيه: لقالون في المدِّ المنفصل بنوعيْه وجهان، هما: (القصر، والتوسُّط).

سبب قصره ومدِّه: وَجْه القصر إرادة التفريق بين ما يدوم سببُه وصلاً ووقفًا، وما لا يدوم بانتفاء الهمز فيه حال الوقف، ووَجْهُ المد هو الاعتداد باتصاله بالهمز لفظًا في الوصل وإن وُقف دون الهمز، وهو ما يُعرف بإجراء الوقف مُجرى الوصل.

ثالثا: مد البدل:

تعريفه: هو ما تقدَّم فيه الهمزُ علىٰ حرف المدِّ في نحو: ﴿ ءَامَنُواْ ﴾و﴿ إِيمَٰناً ﴾، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿ فَأَمَّا ٱلذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾، بالتوبة، وفي نحو: ﴿ اُوتِيتُم ﴾ عند قوله تعالىٰ: ﴿ وَمَا اُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلَاً ﴾، بالإسراء.

مذهب قالون فيه: لقالون في مدِّ البدل القصر فحسْب.

سبب قصره: وجْهُ القصر في مد البدل أنَّ الهمزة لَمَّا تقدمت علىٰ حرف المد استوفت حقها من النطق، فاستُغْنِي عن المد الذي يكون لتمكينها من النطق في المتصل والمنفصل.

تنبيه: إذا اجتمع مدُّ البدل مع المدِّ المتصل كما في قوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّا بُرَءَآؤُاْ مِنكُمْ ﴾، بالممتحنة، أو اجتمع مع المدِّ المنفصل في نحو قوله تعالىٰ: ﴿ فَلَمَّا رَءَا أَيْدِيَهُمْ لاَ تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةَ ﴾، بهود، أو اجتمع مع المدِّ اللازم في نحو قوله تعالىٰ: ﴿ وَلاَ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ ﴾، بالمائدة، أو مع المد العارض للسكون في نحو قوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴾، بالبقرة، فإنه يتعيَّن إلغاءُ مدِّ البدل، وإعمال المدود الأخرىٰ لجميع القراء، كلٌّ بحسب مذهبه، عملًا بأقوى السببين، وفي هٰذا السياق يقول ابن الجزري: «ومتىٰ اجتمع سببان عُمِل بأقواهما، وأُلْغِيَ أضعفُهما إجماعًا»، والبدل أضعف أنواع المد باتفاقٍ.

قال صاحب لآلئ البيان:

أقوى المدود لازمٌ فما اتَّصَلْ فعارضٌ فذُو انفصالٍ فبَدَلْ
وَسَبَبَا مَدٍّ إِذَا مَا وُجِدَا فَإِنَّ أَقْوَى السَّبَبَيْنِ انْفَرَدَا

المبحث السادس:
«الهمزتان من كلمة»

توطئة:

الهمز لغةً: مصدر همزتُ الشيءَ أهمِزُهُ هَمْزاً، إذا دفعته بسرعةٍ، وكان يقال: هَمَزَ الفارسُ فرَسَه، إذا دفعه بسرعةٍ، وقد همز رأسه يهمزه همزًا، إذا غمزه، والهمز في اللغة: الضغط، والنخس، والضرب، والكسر.

وقد سُمِّيَ الهمز من الحروف همزًا؛ لأن الصوت يَدْفَعُ النطق به؛ لكلفته على اللسان.

واصطلاحـًا: أول حروف الهجاء نطقًا وترتيبًا، وهو الصوت المندفع من أقصىٰ الحلق، المتَّصف بالجهر والشدَّة.

وينقسم الهمز من جهة أصول القراءة علىٰ قسميْن: (مُفْرَدٍ، ومُزْدَوَجٍ).

فأمَّا المفرد: فهو الهمز الذي لم يقترن بهمز مثله، وسيأتي بيانُه لاحقًا.

وأما المزدوج فهو الهمز الملاصق لمثله، وهو علىٰ قسمين: (من كلمة، ومن كلمتين).

وينبغي أن يُعلمَ أنَّ الأصل في الهمز التحقيق، وهو أنْ يُنطق به خارجا من مخرجه الذي هو أقصى الحلق كاملة صفاته، ولكن نظراً لاتصاف الهمز بما اتصف به من الشدة والجهر، وتعَدد صور نطقه عند العرب، وكذا تعدُّد صوره الخطيَّة، فقد اعترته أربعة مظاهرَ من مظاهرِ التغيير والتخفيف، وهٰذا بيانها:

أولًا: التسهيل: لغةً: التيسير، واصطلاحا: أن يُنْطَقَ بالهمز بينه وبين الحرف المجانس لحركاته، فيُنْطَق بالمفتوح بينه وبين الألف، وبالمكسور بينه وبين الياء، وبالمضموم بينه وبين الواو.

وقد يطلق على التسهيل: (بَيْنَ بَيْنَ)، أي: بين الهمز المحقق، والحرف الساكن الذي منه حركته.

ثانيا: الإبدال: لغةً: جعل شيءٍ مكان آخر، واصطلاحًا: إقامة الألف والواو والياء مقام الهمز عوضًا منه.

ثالثا: النقل: لغة: تحويل الشيء من موضع إلىٰ موضع، واصطلاحـًا: إلقاء حركة الهمز على الساكن الصحيح قبله، وتحريكه به، وسقوطه رأسًا، وقد عرفه ابن الجزري بأنه: تعطيل الحرف المتقدم للهمزة من شكله، وتمكينه بشكل الهمزة في حالتي الأداء في الوقف والوصل.

رابعًا: الإسقاط: لغة: الطرح والإزالة، واصطلاحا: إزالة أثر الهمز بالكليَّة، وقد يطلق عليه الحذف مطلقًا.

مفهوم الهمزتين من كلمة:

هما همزتا القطع المتحركتان المتلاصقتان في كلمة واحدة، نحو: ﴿ءَأَنذَرْتَهُمْ﴾، و﴿أَئِنَّكُمْ﴾، و﴿أَؤُنَبِّئُكُم﴾، وقد خرج بهٰذا الحصر والتمثيل همزتا القطع والوصل، في نحو قوله: ﴿ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾، بالأنعام، وقوله: ﴿أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ﴾، بمريم؛ إذ قد أُبدلت همزة الوصل ألفًا مشبعةً وسهِّلتْ في الآية الأولىٰ وما شابهها، وحُذفت في الآية الثانية وما جاء علىٰ شاكلتها، كما قد خرج بالمتحركتين ما كانت الثانية فيه همزة ساكنة، من نحو: ﴿ءَادَمَ﴾، و﴿إِيمَانًا﴾، و﴿أُوتُواْ﴾، فإنه قد اتَّفق اللغويُّون والقراءُ جمعُيهم علىٰ إبدالها حرف مد من جنس حركة ما قبلها.

ومما تنبغي الإشارةُ إليه هو أنَّ الهمزة الأولىٰ من المتحركتين قد تأتىٰ للاستفهام، ولغيره أيضا، ولا تكون إلاَّ مفتوحةً، ومجيئها للاستفهام هو الغالب في القرآن، وقد وردت لغيره في لفظ: ﴿أَيِمَّةَ﴾ في مواضعه المعلومة.

أمَّا الثانية فهي علىٰ أشكالٍ ثلاثة: مفتوحة، ومكسورة، ومضمومة.

مذهب قالون فيهما: له في هٰذا النوع من الهمز المزدوج تسهيلُ الهمزة الثانية، مع إدخال ألفٍ مقحمةٍ فيما بينها وبين الهمزة الأولىٰ، التي لا تقع إلاَّ محقَّقةً، وقد استُثني له من الإدخال ثلاثُ كلماتٍ، وقع فيها التسهيل من غير الإدخال، هي: ﴿أَيِمَّةَ﴾، في مواضعها، و﴿ءَأَمَنتُم﴾، بمواضعها الثلاثة: الأعراف، وطه، والشعراء، و﴿ءَأَٰلِهَتُنَا﴾، بالزخرف.

وقد روى التسهيل مع الإدخال وعدمه في لفظ: ﴿أَشْهِدُواْ﴾، بالزخرف، والإدخال هو المقدَّم عنده في الأداء، والحجَّةُ لقالون في التسهيل هو الاستثقال وطلب الخفة؛ إذْ إنَّ العرب تستثقل الهمزة الواحدة فتخفِّفُها في أخفِّ أحوالها، وهيَ ساكنة نحو تخفيفهم لفظ: (كاس)، من (كَأْسٍ)، فإذا كانت تُخَفَّفُ وهيَ وحدها، فَلَأَنْ تُخَفَّفَ ومعها مثلها أولىٰ.

وقد خُصَّت الثانية بالتغيير دون الأولىٰ؛ لأنَّ الأُولىٰ لا يمكن تسهيلها بين بين؛ لكون تسهيلها يقرِّبُها من الساكن، والساكن المحض لا يبتدأ به، فكذٰلك ما قرُب منه، ولا يمكن إبدالها؛ إذ لا حركة قبلها تبدل من جنسها، ولا يمكن حذفها؛ إذ لا شيء قبلها تُلقىٰ حركتها عليه، فلما كان ذٰلك كذٰلك، سهلت الثانية دونها.

وقد جيء بألف الإدخال بين الهمزتين مبالغةً في الفصل بينهما، واستعانة علىٰ الإتيان بالثانية.

والمتأمِّلُ فيما استُثني لقالون من حُكْمِ التسهيل مع الإدخال في لفظ: (أَئِمَّةً) يُدرك أنَّ الحكمة تكمُنُ في تميُّز الهمزة الأولىٰ فيه بوقوعها همزة للجمع لا للاستفهام كما هو حالها في غير هٰذا اللفظ، كما يُدرِك أنَّ حركة الهمزة الثانية فيه عارضةٌ، وليست بأصليَّة؛ إذْ هي منقولةٌ إليها من الميم بعدها، فالأصل: (أَأْمِمَةٌ)، وقد استُثقل توالي الميمْين المتحرِّكيْن، فنُقلت حركةُ أُولاهما إلى الهمزة، فعُوملت الهمزة معاملة الهمزتيْن المجتمعتيْن في كلمة من إجراء التسهيل عليها، وتُرك الإدخالُ تنبيهاً إلىٰ أصلها، وعروض الحركة فيها.

ولم يؤتَ بالإدخال في لفظي: ﴿ءَامَنتُم﴾، و﴿ءَالِهَتِنَا﴾، بعد تسهيل الهمزة الثانية فيهما فرارًا من توالي أربع ألفاتٍ في الكلمة الواحدة. وخُصَّ لفظ: ﴿أَشْهِدُواْ﴾، بالإدخال وعدمه تنبيهًا علىٰ اختلاف القراء في تأصيل هٰذا اللفظ بين الثلاثي المجرَّد (شَهِدَ) والثلاثي المزيد بهمزة التعدية (أَشْهَدَ)، فضلًا عن اختلافهم في بنائه للمعلوم وبنائه لما لم يسمَّ فاعله.

ويُلحَق بهذا الباب تسهيل قالون الهمزة المقابلة لـ(عين الكلمة) في لفظ: (رَأَيْتَ) حال سبْقها بهمزة الاستفهام قبلها في نحو قوله تعالى: ﴿ أَرَآيْتَ ٱلَّذِے يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ﴾، بالماعون، وقوله: ﴿ قُلْ أَرَآيْتَكُمْ إِنْ أَتَيٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلاَّ ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾، بالأنعام.

ووجْهُ الإلحاق أنَّها لم تستوفِ حدَّ الباب؛ حيث إنَّ الهمزتين انفصلتا بوجود الراء بينهما، وأنَّ الهمزة الثانية لم تسهَّل في رواية قالون إلا بسبب وجود همزة الاستفهام قبلها، بدليل أنَّها لا تُقرأُ لقالونَ إلاَّ محقَّقةً حال تجرُّدها من همزة الاستفهام، وذلك في نحو قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيماً وَمُلْكاً كَبِيراً ﴾، بالإنسان.

ومما يندرج ضمن هذا الباب ما يُعرف في عُرْفِ القراءات القرآنيَّة بالاستفهام المكرَّر، وهو ما وقع فيه الخلاف بين القراء في تكرار الاستفهام فيه في آية واحدة، أو آيتين متتاليتين في مواضعه الإحدىٰ عشرة الْمُسْتَهَلَّة بموضع الرعد والْمُخْتَتَمة بالنازعات، وهي:

١. قوله تعالىٰ: ﴿ وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَاباً إِنَّا لَفِے خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾، بالرعد.

٢- قوله تعالىٰ: ﴿ وَقَالُواْ أَءِذَا كُنَّا عِظَاماً وَرُفَاتاً إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقاً جَدِيداً ﴾، بالإسراء.

٣- قوله تعالىٰ: ﴿ وَقَالُواْ أَءِذَا كُنَّا عِظَاماً وَرُفَاتاً إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقاً جَدِيداً ﴾، بالإسراء.

٤- قوله تعالىٰ: ﴿ قَالُواْ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَاماً إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴾، بالمؤمنون.

٥- قوله تعالىٰ: ﴿ وَقَالَ ٱلذِينَ كَفَرُواْ إِذَا كُنَّا تُرَاباً وَءَابَآؤُنَا أَيِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴾، بالنمل.

٦- قوله تعالىٰ: ﴿ وَلُوطاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ أَيِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ ﴿٢٨﴾ وَتَأْتُونَ فِے نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ﴾، بالعنكبوت.

٧. قوله تعالىٰ: ﴿ وَقَالُواْ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِے ٱلْأَرْضِ إِنَّا لَفِے خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾، بالسجدة.

٨. قوله تعالىٰ: ﴿ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَاماً إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴾، بالصافات.

٩. قوله تعالىٰ: ﴿ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَاماً إِنَّا لَمَدِينُونَ ﴾، بالصافات.

١٠. قوله تعالىٰ: ﴿ وَكَانُواْ يَقُولُونَ أَيِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَاماً إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴾، بالواقعة.

١١. قوله تعالىٰ: ﴿ يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي ٱلْحَافِرَةِ ۝١٠ إِذَا كُنَّا عِظَاماً نَّخِرَةً ﴾، بالنازعات.

وقد روىٰ قالونُ عن شيخه استفهامَهُ في الأول، وإخبارَهُ في الثاني في هٰذه المواضع، فيما عدا موضعي: النمل، والعنكبوت اللذيْن أخْبر في أولهما، واسْتفهم في الثاني منهما.

وسبب استفهامه في الأول وإخباره في الثاني – فيما عدا النَّمل والعنكبوت – أنَّ الاستفهام له صدرُ الكلام، فأوقعه في الأول، واستغنىٰ بذكره فيه عن إعادته في الثاني؛ لارتباط كلٍّ من الكلاميْن بالآخر، وقد عكس في موضعي النمل والعنكبوت؛ لإدراج الياء فيهما في الثاني دون الأول بإجماع المصاحف، فعكس اتِّباعًا لخطِّ المصحف.

قال ابن بري:

فَصْلٌ، وَالِاسْتِفْهَامُ إن تَكرَّرَا فَصَيِّـرِ الثانِـيَ مِنْـه خَبَـرًا
واعْكِسْه في النَّمْلِ وفَوْقَ الرُّومِ لِكَتْبِـه بِاليـاءِ فـي المَرْسُـومِ

تنبيه: لقالون فيما رواه بالاستفهام في هٰذه المواضع ما له في باب الهمزتين المجتمعتين في كلمة واحدة من تسهيل الهمزة الثانية المكسورة بينها وبين الحرف الذي من جنس حركتها مع الإدخالِ.



المبحث السابع:
«الهمزتان من كلمتين»

تعريفهما: هما همزتا القطع المتلاصقتان وصلًا في كلمتين اثنتيْن؛ لذا لا يُعَدُّ من قبيل هٰذا الباب ما كانت الثانية منهما همزة وصلٍ، في نحو قوله تعالىٰ: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَاطِلُ﴾، بالإسراء، وقوله: ﴿فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾، بالحج، ولا يعد من قبيل هٰذا الباب كذٰلك ما فُصِلَ فيه بين الهمزتين بحائلٍ من تنوينٍ أو حرف مدٍّ، وذٰلك في نحو قوله تعالىٰ: ﴿فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ﴾، بالأعلىٰ، وقوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾، بالروم.

وبناءً علىٰ ما تقدم فإنه إذا التقت الهمزتان، وكانت الثانية منهما همزةَ قطعٍ، ولم يُفصل بينها وبين التي قبلها بحائلٍ، فإنَّ التقاءَهما يأتي علىٰ قسمين: متفقتين في الحركة، ومختلفتين فيهما.

القسم الأول: المتفقتان في الحركة: ثلاثةُ أنواع:

١. **مفتوحتان:** مثالهما قوله تعالىٰ: ﴿وَلَمَّا جَآ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُوداً وَالذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا﴾، بهود.

٢. **مكسورتان:** مثالهما قوله تعالىٰ: ﴿فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِے بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾، بالبقرة.

٣. **مضمومتان:** نحو: ﴿وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ أُوْلَٰٓئِكَ فِے ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾، بالأحقاف، ولم يرد في القرآن غيره.

مذهب قالون في المتفقتين في الحركة: لقالون فيما اتفقت فيه الهمزتان بالفتح: إسقاطُ أولاهما، مع جواز قصْر حرف المدِّ قبلها، وتوسيطِه، والقصرُ هو المقدَّم؛ وذٰلك لانتفاء سبب المدِّ بالكليَّة، وله تسهيل أولى المكسورتيْن والمضمومتيْن، مع جواز التوسُّط في حرف المد، وقصرِه، والتوسُّطُ هو المقدَّم؛ وذٰلك لبقاء أثر الهمز.

واستثنى من ذلك قولَه تعالى: ﴿لَأَمَّارَةُۢ بِالسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ﴾، بيوسف، فرواه بالإبدال مع الإدغام، زيادة على وجه التسهيلِ، والإبدالُ هو المقدَّم في الأداء، وقد جاز التسهيل في هذا الموضع - مع ما فيه من جمعٍ بين ساكنين -؛ لاختلاف نوع الساكنين، فالساكنُ الأول واوٌ مدِّيَّةٌ، والثاني إلى الياءِ المديَّة أقربُ.

كما استثنى قولَه تعالى: ﴿وَامْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِنْ وَّهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ﴾، بالأحزاب، وقوله: ﴿لَا تَدْخُلُواْ بِيُوتَ اَ۬لنَّبِيِّ إِلَّآ أَنْ يُّؤْذَنَ لَكُمْ﴾، بالأحزاب، فرواهما بالإبدال مع الإدغام فحسب؛ لِمَا في التسهيل من تصيير الهمز إلى الساكن، وقد سُبِقَ بساكنٍ مدِّيٍّ، فيُجمع حَالَتَئِذٍ بين ساكنَيْن من نوعٍ واحدٍ، وهو أمرٌ مستثقلٌ غاية الثقل.

القسم الثاني: المختلفتان في الحركة: خمسة أنواع:

١. أن تُفتح الأولى منهما، وتُكسرَ الثانية، نحو: ﴿فَقَاتِلُواْ اُ۬لتِے تَبْغِے حَتَّىٰ تَفِےٓءَ إِلَىٰ أَمْرِ اِ۬للَّهِ﴾، بالحجرات.

٢. أن تُفتح الأولى، وتُضم الثانية، ومنه قوله تعالى: ﴿كُلَّ مَا جَآءَ اُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ﴾، بالمؤمنون.

٣. أن تُكسر الأولى، وتُفتح الثانية، ومنه قوله تعالى: ﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ اَ۬لسَّمَآءِ ءَايَةً﴾، بالشعراء.

٤. أن تُضم الأولى، وتُفتح الثانية، ومنه قوله تعالى: ﴿يَٰأَيُّهَا اُ۬لْمَلَؤُاْ أَفْتُونِے فِے أَمْرِے﴾، بالنمل.

٥. أن تضم الأولى، وتُكسر الثانية، ومنه قوله تعالى: ﴿وَيَهْدِے مَن يَّشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾، بيونس.

ولم يرد في القرآن ما كانت الأولى منهما مكسورة والثانية مضمومة؛ لكراهة الخروج من الكسر إلى الضم.

مذهب قالون في المختلفتين في الحركة:

لقالون في النوع الأول والثاني تسهيلُ الهمزة الثانية بينها وبين الحرف المجانس لحركتها، ووجهُ تسهيل المكسورة والمضمومة بعد المفتوحة بين بين أنَّه الأصل في أنواع التغيير؛ لبقاء أثر الهمز معه.

ولقالون في النوع الثالث والرابعِ إبدالُ الثانية من جنس حركة ما قبلها ياءً وواوًا محضتيْن متحرِّكتين بحركة الهمزة المبدلة نفسها، ووجهُ إبدال المفتوحة ياءً بعد المكسورة وواوًا بعد المضمومة أنَّها لو سُهِّلتْ بين بين؛ لقرُبت بذٰلك من الألف، وقبلها كسرةٌ أو ضمَّةٌ، والألف لا تقع بعدهما، فكذٰلك ما قرُب منها.

ولقالون في النوع الخامسِ الإبدالُ، والتسهيلُ، والإبدالُ هو في الأداء، ووجْهُ إبدال المكسورة واوًا بعد المضمومة مراعاةُ حركة ما قبلها؛ لأنَّها أثقل من حركتها، وأمَّا وجهُ تسهليها بين بين في الوجه الثاني فسائغٌ؛ لجريانه مع القياس.

تنبيهٌ: إذا وُقِف علىٰ أولى الهمزتين، سواء في حال الاتفاق أو الاختلاف، فإنَّه يُرْجَعُ بهما إلىٰ أصلهما من التحقيق، ولا تتسنَّىٰ في هٰذه الحال القراءةُ بما ذُكِرَ من تسهيلٍ، أو إبدالٍ، أو إسقاطٍ.



المبحث الثامن:
«الهمز المفرد»

تعريفه: هو الهمز الذي لم يلاصق همزاً آخر مثلَه، ويأتي ساكنا، ومتحركًا، ومثاله قولُه تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾، بالبقرة، وقوله: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾، بالبقرة، والمائدة، وقوله: ﴿وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا﴾، بالكهف، والأصل المطَّردُ المقروءُ به في رواية قالون هو التحقيق، إلا ما استثناه ممَّا رواه بالتخفيف عن شيخه في مواضع بعينها، وفيما يأتي بيانها:

أوَّلًا: صُوَر التخفيف في الهمز الساكن:

أ. ما أبدله قالون حرفَ مدٍّ من غير إدغام: أبدل قالونُ الهمزَ الساكنَ ألفًا من جنس حركة ما تقدَّمه في كلٍّ من: ﴿يَاجُوجَ﴾، و﴿مَاجُوجَ﴾، بموضعيْهما: الكهف، والأنبياء، وأبدله واوًا ساكنة في ﴿مُّوصَدَةٌ﴾، بموضعيْها كذٰلك في البلد، والهمَزة، وأبدله ياءً ساكنةً في لفظ: ﴿بِيسٍ﴾، عند قوله تعالىٰ: ﴿وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾، بالأعراف، وقد خصَّ قالونُ هٰذا اللفظ بالإبدال؛ تنبيهًا علىٰ تفرُّده بالاسميَّة دون ما ناظره في الجذر اللغويِّ من فعل الذَّم: ﴿بِيسَ﴾، الوارد في مواضع متعدِّدة في كتاب الله تعالىٰ.

ب. ما أبدله قالون حرفَ مدٍّ مع الإدغام: أبدل قالونُ الهمزَ الساكنَ ياءً ساكنةً، ثمَّ أدغم تلك الياء في الياء التي تليها في لفظ: ﴿وَرِيًّا﴾، بمريم.

وَوَجْهُ تخصيصه هٰذا الموضع بالإبدال مع الإدغام مراعاةُ تناسُبه مع ما سبقه وما تلاه من رؤوس الآي المختومة جلُّها في هٰذه السورة بالياء المشدَّدة المنوَّنة الموقوفِ عليها بإبدال نون التنوين فيها ألفًا.

ثانيـًا: صُوَرُ التخفيف في الهمز المتحرِّك:

أ. ما رواهُ بالتسهيل: سهَّل قالونُ الهمزة المفتوحة في: ﴿هَاأَنتُمْ﴾ في جميع مواضعها بينها وبين جنس حركتها، مع إثبات ألف (ها) التي للتنبيه قبلها، ويكون المدُّ علىٰ ذٰلك

من قبيل المدِّ المنفصل الحكميِّ، فيجوز فيه القصر والتوسُّط، ويجوز أن تكون الهاء في: ﴿ هَٰٓأَنتُمْ ﴾ مبدلةً من همزة الاستفهام، وقد أُبْدِلَتْ جريًا على إبدال العرب الهمزة هاءً في: (أرقت الماء) (هَرقْتُ)، وفي: (إيَّاك) (هيَّاك)، ويترتَّبُ على هٰذا المذهب أن تكون الألف بعد الهاء للإدخال، فيلزم حينئذٍ القصر فحسب.

ب. ما رواهُ قالون بالإبدال: أبدل الهمزَ المفردَ المتحرِّك المفتوح ألفًا من جنس حركة الفتحة قبله في: ﴿ مِنسَاتَهُۥ ﴾، بسبأ، و﴿ سَالَ ﴾، بالمعارج، كما أبدل في أحد وجهيْه الهمزةَ المفتوحةَ ياءً محضةً متحركة بحركتها من جنس حركة اللام المكسورة قبلها في: ﴿ لِأَهَبَ ﴾، في قوله تعالى: ﴿ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴾، بمريم، والتحقيق هو المقدَّم عنده.

ج. ما رواهُ بالحَذْفَ: حذف قالونُ الهمزةَ المفردةَ المكسورةَ من لفظ: ﴿ الصَّابِينَ ﴾، بموضعيْه، والمضمومةَ من لفظ: ﴿ وَالصَّابُونَ ﴾، بالمائدة، و﴿ يُضَاهُونَ ﴾، بالتوبة، وقد ترتَّب على حذف الهمزة من اللفظين الأخيريْن وجوبُ قلبِ كسرة الباء والهاء ضمَّة في كليهما؛ لتتجانس الضمَّةُ مع الواو.

د. ما رواهُ بالنقل: نقل قالون حركة الهمز إلى الساكن الصحيح في ثلاثة ألفاظٍ، وردت في أربعة مواضع، هي:

الأول: نَقَلَ قالونُ حركةَ الهمز إلىٰ لام التعريف في لفظ: ﴿ ءَآلَٰنَ ﴾، بموضعيْها بيونس، في قوله تعالىٰ: ﴿ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ ءَآلَٰنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴾، وقوله: ﴿ ءَآلَٰنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾، ولقالون في هٰذا الكلمة ثلاثة أوجُهٍ وصلًا وابتداءً، هي:

١. إبدال همزة الوصل بسبب دخول همزة الاستفهام عليها ألفًا مع الإشباع؛ اعتدادًا بأصل الكلمة.

٢. إبدالها ألفًا كذٰلك مع القصر؛ اعتدادًا بما عرض للكلمة من نقل حركة الهمز إلىٰ لام التعريف فيها.

٣. تسهيلها همزة الوصل بسبب دخول همزة الاستفهام عليها بينها وبين حركتها من غير إدخال.

الثاني: نقَل قالونُ حركةَ الهمزِ إلى الدال الساكنة قبلها في لفظ: ﴿رِداً﴾، وصلًا ووقفًا وابتداءً في قوله تعالىٰ: ﴿فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِداً يُصَدِّقُنِي﴾، فيؤُول النطق إلىٰ ﴿رِداً﴾.

ووجهُ النقل لقالون في هٰذا اللفظ أنَّه أشبه في النطق كلمتين، أُولاهما: رِدْ، فعلُ أمرٍ، من (وَرَدَ)، وأُخراهما: (أَنْ) الناصبة، ووجه تخصيصه إيَّاه دون ما شابَهَهُ من نحو: (جُزْءًا)، و(خِطْأً) أنَّ ثِقَلَ الهمزة فيه تقوَّىٰ بثِقَل الكسرة على الراء المتَّصفة بالتَّكرار، فهي في قوَّة كسرتيْن.

الثالث: نقل قالونُ حركةَ الهمزِ إلىٰ لام التعريف في لفظ: (الْأُولَىٰ)، في قوله تعالىٰ: ﴿وَأَنَّهُۥ أَهْلَكَ عَاداً ٱلْأُولَىٰ﴾، فقد نَقَلَ حركةَ الهمزِ إلىٰ لام التعريف، ثُمَّ هَمَزَ الواو الساكنة المقابلة عين الكلمة من لفظ: (الأولىٰ)، فآل النطق إلىٰ: ﴿عَاداً ٱلُّؤْلَىٰ﴾. وله حال الوقف علىٰ (عادًا)، والابتداء بـ(الأولىٰ) ثلاثةُ أوجُهٍ، هٰذا بيانها على الترتيب:

١. ﴿الْأُولَى﴾: بهمزة وصلٍ مقطوعةٍ بالفتح، ولامٍ ساكنةٍ، متبوعةٍ بهمزةٍ مضمومةٍ، بعدها واوٌ ساكنةٌ سكون مدٍّ، فلامٌ مفتوحةٌ، إثرها ألفُ التأنيث المقصورة؛ وذٰلك جريًا على الأصل الأول للكلمة.

٢. ﴿الُؤْلَى﴾: بهمزة وصلٍ مقطوعةٍ بالفتح، ولامٍ محرَّكةٍ بضمة الهمزة المنقولة إليها، متبوعةٍ بهمزةٍ ساكنةٍ، بعدها لامٌ مفتوحةٌ، إثرها ألفُ التأنيث المقصورة؛ وذٰلك اعتدادًا بالأصل، ومراعاةً للرسم.

٣. ﴿لُؤْلَى﴾: بلامٍ محرَّكةٍ بضمة الهمزة المنقولة إليها، متبوعةٍ بهمزةٍ ساكنةٍ، بعدها لامٌ مفتوحةٌ، إثرها ألفٌ التأنيث المقصورة؛ وذٰلك اعتدادًا بالعارض، ومراعاةً للوصل.



المبحث التاسع:
«الإظهار والإدغام»

تعريف الإظهار: لغةً: الكشف، والإبانة، يقال: أظهر فلانٌ كذا: إذا كشفَ سرَّه، وأبانَ حقيقتَه.

واصطلاحًا: إخراج كلِّ حرف من مخرجه من غير غنَّةٍ في الحروف المظهرة، ويعرَّفُ أيضًا بأنَّه: فَصْلُ الحرف الأول عن الثاني من غير سكت عليه.

تعريف الإدغام: لغةً: الإدخال، يقال: أدغمت اللجام في فم الفرس، إذا أدخلته فيه.

وفي الاصطلاح: إدغام حرف ساكن في آخر مُتحرّك، بحيث يصيران حرفًا واحدًا مشددًا، يعملُ معهما المخرجُ عملًا واحدًا، وهو بوزن حرفين.

ويعرَّفُ تعريفا آخر، وهو: التَّلفُّظُ بالحرفين حرفًا واحدًا كالثاني مشدَّدًا.

فائدته: التخفيف في النطق؛ لأن النطق بحرف واحد أخفُّ وأسهلُ من النطق بحرفين.

أقسامه: بيَّنَّا – في أحكام التجويد – أنَّ الإدغام ينقسمُ علىٰ أقسامٍ متعدِّدةٍ بالنظر إلىٰ أمورٍ أربعة، فذكرنا أنَّه ينقسمُ بالنظر إلىٰ سبب نشوئه إلىٰ ثلاثة أقسامٍ: (متماثلٍ، ومتجانسٍ، ومتقاربٍ)، وأنَّه ينقسمُ بالنظر إلىٰ سكون الحرف المدغم وتحرُّكه قبل إحداث الإدغام إلىٰ قسمين: (صغيرٍ، وكبيرٍ)، كما أنَّه ينقسم بالنظر إلىٰ تمام عمليَّة الإدغام ونقصانها إلىٰ قسمين: (كاملٍ، وناقصٍ)، وينقسم – كذٰلك – بالنظر إلىٰ حكمه إلىٰ ثلاثة أقسامٍ: (واجبٍ، وجائزٍ، وممتنعٍ).

وسنكتفي هنا ببيان الإدغام الجائز، والإدغام الكبير؛ لكونهما محلَّ خلافٍ بين القراء، وذٰلك وفق الآتي:

أولًا: الإدغام الجائز: من خلال الاستقراء وُجِدَ أن مواضع الإدغام المختلف فيها بين القراء تنحصر في الآتي:

أ. باب: (ذال إذْ): أظهر قالون ذال: (إذْ) عند أحرفها الستَّة التي أدغمها فيها بعضُ القراء.

ب. باب: (دال قدْ): أظهر قالون دال: (قدْ) عند أحرفها الثمانية التي أدغمها فيها بعضُ القراء.

ج. باب: (تاء التأنيث الساكنة): أظهر قالون: (تاء التأنيث الساكنة) عند أحرفها الستَّة التي أدغمها فيها بعضُ القراء.

د. باب: (لام هل وبل): أظهر قالون لام: (هل وبل) عند أحرفها الثمانية التي أدغمها فيها بعضُ القراء.

هـ. بابُ: (حروفٍ قربت مخارجها): لقالون فيها ثلاثة مذاهب:

الأول: ما رواه بالإدغام فحسْب، وذلك في الآتي:

١. الذال المعجمة في التاء المثناة في كلمة: ﴿أَخَذتُّ﴾، كيفما تصرفت، وأينما وقعت.

٢. الباء في الميم عند قول الله تعالى: ﴿وَيُعَذِّب مَّن يَّشَاءُ﴾.

٣. النون من هجاء (سين) في الميم من هجاء (ميم) في: ﴿طَسِٓمِّٓ﴾، عند فاتحة سورتي الشعراء، والقصص.

الثاني: ما رواه بالإظهار والإدغام، وقد ورد هذا في حرفين، هما:

١. الثاء المثلّثة مع الذال المعجمة، في قوله تعالى: ﴿يَلْهَثْ ذَّٰلِكَ﴾.

٢. الباء الساكنة مع الميم، في قوله تعالى: ﴿إِرْكَب مَّعَنَا﴾، والإدغام هو المقدم في الأداء في كلا الموضعين؛ لأنَّ عليه أكثرَ الرواة.

الثالث: ما رواهُ بالإظهار فحسْب، وهو غيرُ ما ذُكِرَ ممَّا وقع فيه الخلاف بين القراء، من نحو إظهاره الثاءَ عند التاء في: ﴿لَبِثْتَ﴾، و﴿لَبِثْتُمْ﴾، والنونَ من هجاء (نون) عند الواو في قوله تعالى: ﴿يَسِٓ وَالْقُرْءَانِ﴾، وقوله: ﴿نِٓ وَالْقَلَمِ﴾.

ثانيًا: الإدغام الكبير: ليس لقالون إدغامٌ كبير في القرآن الكريم إلا في كلمتين لا ثالث لهما، هما:

الأولىٰ: ﴿تَأْمَنَّا﴾، بيوسف، فقد رواها قالون بإدغام النون الأولىٰ في الثانية مع الإشمام، وهو ضَمُّ الشفتين بُعَيْدَ إسكان الحرف المضموم والمرفوع من غير صوت، يراه المبصر ولا يسمعه الكفيف، وهٰكذا، فيصير النطق بنون واحدة مشددة يليها الإشمام؛ والأصل في الكلمة: (تَأْمَنُنَا)، بنونين مظهرتين: الأولىٰ مضمومة، والثانية مفتوحة.

وله فيها وجه آخر، هو اختلاس ضمة النون الأولىٰ، والاختلاس هو: الإسراعُ بنطق الحرف حتَّىٰ يذهب ثلث حركته، فلا يكون هناك إدغام حينئذ.

والوجهان لا يحكمان إلا بالمشافهة والسماع من أفواه المتقنين الضابطين العارفين الآخذين ذٰلك عن مشايخهم، ووجهُ الاختلاس هو المقدم في الأداء.

الثانية: ﴿مَكَّنِّي﴾، بالكهف، حيث رواها قالون بإدغام النون الأولىٰ في الثانية، فصار نطقها بنون واحدة مكسورة مشددة، والأصل فيها: (مكَّنَنِي)، بنونين: مفتوحةٍ، فمكسورةٍ.

تنبيهات عامة:

١. أجمع القراء علىٰ وجوب إدغامِ أول المثلين في الثاني إن وقع الأولُ ساكنًا، بشرط ألاَّ يكون واواً أو ياءً مدِّيَّيْن، وقد انفصلتا عمَّا ماثلهما، كما في قوله تعالىٰ: ﴿قَالُواْ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ﴾، ونحو قوله تعالىٰ: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾، فليس لهم في ذٰلك إلاَّ الإظهار؛ وذٰلك خشية ذهاب حرف المدِّ.

وقد قرأ بالإظهار والإدغام من أثبت منهم هاء السكت وصلًا في قوله تعالىٰ: ﴿مَالِيَهْ ۜ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ﴾، بالحاقة؛ لأن هاء السكت جيء بها هنا لانسجام نهاية الآية مع ما سبقها وما تلاها من الفواصل القرآنيَّة الموقوف عليها بإبدال تاء التأنيث المتحرِّكة فيها هاءً ساكنة، فناسبها الإظهار، ولا يتأتَّىٰ إظهار هٰذه الهاء عند هاء: ﴿هَلَكَ﴾، إلاَّ مع سكتةٍ يسيرةٍ، والإظهارُ هو المقدَّم على الإدغام في الأداء، قال الإمام الشاطبيُّ:

وَمَا أَوَّلُ الْمِثْلَيْنِ فِيـــــهِ مُسَكَّنٌ ... فَلَا بُـــــــدَّ مِنْ إِدْغَامِهِ مُتَمَثِّلَا

وقد استدرك عليه الإمام الحسيني قائلًا:

لَـدَى الْـكُلِّ إِلاَّ حَـرْف مَـدٍّ فَأَظْهِـرَنْ كَ(قَالُوا وَهُم) (فِي يَوْم) وَامْدُدْهُ مُسْجَلَا

لِـكُلٍّ، وإِلّا هَـاءَ سَـكْتٍ بـ(مَالِيَـهْ) فَفِيـهِ لَهُـمْ خُلْـفٌ، وَالِاظْهَـارُ فُضِّـلَا

٢. اتَّفق القراء جميعهم على وجوب إدغام ذال (إذْ) في الذال، في نحو قوله تعالىٰ: ﴿إِذ ذَّهَبَ﴾، وفي الظاء في قوله تعالىٰ: ﴿إِذ ظَّلَمُوٓاْ﴾، و﴿إِذ ظَّلَمْتُمْ﴾، كما اتفقوا علىٰ إدغام دال (قد) في الدال، في نحو قوله: ﴿وَقَد دَّخَلُواْ﴾، وفي التاء في نحو قوله: ﴿قَد تَّبَيَّنَ﴾، واتَّفقوا علىٰ وجوب إدغام تاء التأنيث الساكنة في التاء، في نحو قوله: ﴿كَانَت تَّأْتِيهِمْ﴾، وفي الدال في نحو قوله: ﴿أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا﴾، وفي الطاء في نحو قوله: ﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٌ﴾.

٣. اتَّفقوا أيضا علىٰ وجوب إدغام لام (هل وبل) في اللام، في نحو قوله تعالىٰ: ﴿هَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ﴾، و﴿بَل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ﴾، وفي الراء في نحو قوله تعالىٰ: ﴿قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ الَّذِے فَطَرَهُنَّ﴾.

وقد حُمِلَ علىٰ وجوب الإدغام في باب دال (قد) وجوبُ إدغام الدال في التَّاء في: ﴿حَصَدتُّمْ﴾، و﴿أَرَدتُّمْ﴾، كما حُمِلَ علىٰ وجوب الإدغام في باب لام (هل وبل) وجوبُ إدغام لام (قل) في الراء بعدها، في نحو قوله تعالىٰ: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِے عِلْماٗ﴾.

٤. أجمع القراءُ - باستثناء السوسي - علىٰ جواز وقوع الإدغام كاملًا وناقصًا في لفظ: ﴿نَخْلُقكُّم﴾، بالمرسلات عند قوله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾، والإدغام الكامل هو المقدَّم في الأداء.

٥. تصدُق أنواع الإدغام الأربعة علىٰ كلِّ إدغام وقع في القرآن، وذٰلك أنَّ كلَّ إدغامٍ سيكون صغيرًا بالنظر إلىٰ سكون المدغَم منه قبل إدغامه فيما بعده، أو كبيرًا. وسيكون مماثلًا للمدغم فيه، أو مجانسًا، أو مقاربًا. وسيكون تامًّا بالنظر إلىٰ اكتمال الإدغام، أو ناقصًا إن لم تكتمل. وسيكون واجبًا، أو جائزًا بالنظر إلىٰ حكمه.

ولك أن تمثِّل علىٰ ذٰلك بإدغامُ الباء في الباء في قوله تعالىٰ: ﴿ٱضْرِب بِّعَصَاكَ﴾، فهو إدغامٌ متماثِلٌ من جهة تشابه المدغَم مع المدغم فيه، وهو إدغام صغيرٌ من جهة سكون المدغم قبل إحداث الإدغام، وهو إدغام كاملٌ من فناء المدغم في المدغم فيه، وهو إدغامٌ واجبٌ من جهة الحكم.

المبحث العاشر:
«الفتح والإمالة»

أولا: الفتح: لغة: نقيض الإغلاق، وهو النَّصر والظَّفَر، ويأتي بمعنى الفصل بين قوم يختصمون إليك، كما قال سبحانه مخبرًا عن شعيب ﵇: ﴿ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴾.

واصطلاحًا: فتح الفم فتحًا معتدلًا بلفظ الحرف؛ إذِ الألف لا تقبل الحركة، وهو أيضا: النطق بالألف مركبة علىٰ فتحة خالصة غير ممالة، وبيانُ ذٰلك أن يؤتىٰ بالألف علىٰ مقدار انفتاح الفم انفتاحًا وسطًا، وأن يُجَاءَ بها امتدادًا لفتحة خالصةٍ قبلها لا حظَّ للكسر فيها.

والفتح هو الأصل في هٰذا الباب؛ لأنه لا يحتاج إلىٰ سبب، فضلا عن استساغته في جميع الكلام، وامتناع الإمالة في بعض منه، وذٰلك كوجوب الفتح في الفعل (دعا) وما جاء علىٰ شاكلته؛ لكونه واويا، ووجوب فتح الألفات في حروف المعاني؛ لجمودها وعدم تصرُّفها، والإمالة ضربٌ من التصرُّف، قال الصَّيْمَرِيُّ: فأما الحروف فلا يمال منها شيء؛ لأنها لا أصل لها في التصريف، وإنما التصرُّف للأفعال والأسماء.

ثانيا: الإمالة: لغة: مصدر: أملت الشيء إمالة، إذا: عدلت به إلىٰ غير الوجهة التي هو فيها، من: مَالَ، يَمِيلُ: ميلاً: إذا انحرف عن القصد. واصطلاحا: أنْ يُنحىٰ بالفتحة نحو الكسرة، وبالألف نحو الياء من غير إفراطٍ.

أقسام الإمالة: تنقسم إلىٰ قسمين: شديدةٍ، ومتوسطةٍ، فأما الشديدة فهي التي يُنْحَىٰ بها إلىٰ حدٍّ لو زاد صارت ياء، وتسمَّىٰ إمالة محضةً، وكبرىٰ، وهي المفهومة عند الإطلاق، ويقال لها أيضا: الإضجاع، والبطح، والكسر.

وأما المتوسطة فهي ما يُنحىٰ بها إلىٰ لفظ بين الفتح والإمالة الشديدة، وتسمىٰ بالصغرىٰ، وبين بَيْنَ، ومن ألقابها كذٰلك: التلطيف، والتقليل، وهو الأكثر استعمالًا في كتب التأصيل للقراءات القرآنيَّة.

ومما ينبغي التنبيه عليه في هذا الباب أن الإمالة لا تكون إلا في الأفعال والأسماء، وهي في الأفعال أكثر منها في الأسماء، يقول ابن أبي مريم: إن الاسم أبعدُ من الإمالة من الفعل؛ لأنَّ الفعل لِمَا فيه من التصرُّف أولىٰ بالإمالة، فالإمالة نوعٌ من التصرف.

مذهب قالون في الإمالة: يعدُّ قالونُ من المقلِّين في باب الإمالة؛ لأنَّه لم يروِ الإمالة عن شيخه – فيما ثبت له من طريق أبي نشيطٍ – إلاَّ في لفظين اثنين:

أ. ما رواه قالون بالإمالة الكبرىٰ: أمال لفظ: ﴿هارٍ﴾ بالتوبة إمالةً كبرىٰ وصلاً ووقفًا، في قوله تعالىٰ: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هارٍ فَانْهَارَ بِهِۦ فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾.

ووجهُ إمالته الألف في لفظ: ﴿هارٍ﴾ إمالةً كبرىٰ أنَّ الراء بعدها وقعت مكسورةً، والراءُ لما فيها من التَّكرار في حكم المتلفِّظ براءَيْن مكسورتيْن، وبحسَب كثرة الكسَرات تحسُن الإمالة.

وقد خصَّ قالون هذا اللفظ بالإمالة دون ما شابَهَهُ ممَّا جاءت ألفاتُه متبوعةً بالكسر بعدها لما وقع فيه ممَّا يُعْرَفُ في عُرْفِ علماء الصرف بالقلب المكاني؛ إذ إن الأصل اللغوي في: (هارٍ)، هو: (هَاوِرٌ)، قدِّمت الواو إلىٰ موضع الراء، وأُخِّرَتِ الراءُ إلىٰ موضع الواو، ثمَّ قُلبت الواو ياءً؛ لتحرُّكها إثْر كسرةٍ، وعُوملت معاملة الاسم المنقوص المنكَّر، فحُذفت ياؤُه تخلُّصًا من التقائها ساكنةً مع نون التنوين، في نحوٍ: (غازٍ، وداعٍ) حال الرفع والجر.

ب. ما رواهُ بالفتح وبالإمالة الصغرىٰ: روىٰ قالون لفظ: ﴿ٱلتَّوْرَىٰةَ﴾، في جميع مواضعه بالفتح والتقليلِ، والفتحُ هو المقدَّم على الأرجح من أقوال العلماء، والحجةُ له في تقليله ألف ﴿ٱلتَّوْرَىٰةَ﴾ – في أحد وجهيْه – أنه لَمَّا كان فتح الألف في لفظ: ﴿ٱلتَّوْرَىٰةَ﴾ هو الأصل، وإمالتها إنما جاءت لشبهها بألف التأنيث لوقوعها رابعةً متطرِّفةً تقديرًا، خصها بالوجهين: (الفتح والتقليل).

تنبيه: أشار الشاطبيُّ إلىٰ أنَّ نافعًا من روايتي: قالون وورشٍ عنه يُقَلِّلُ الألف من: (ها)، و(يا) من فاتحة سورة مريم، إلاَّ أنّ العمل عند أهل التحقيق أنَّه ليس لقالون إلاَّ الفتح، ولا يُقرأُ له من طريق الشاطبيَّة إلاَّ به.

المبحث الحادي عشر:
«الوقف على أواخر الكلم»

تعريف الوقف لغةً: الكفُّ عن الشيء مطلقًا، يقال: وقفت عن كذا، إذا تركته، وانتقلت عنه إلىٰ غيره.

واصطلاحا: قطع الصوت عن القراءة زمنًا يُتنفَّسُ فيه عادة، بنية استئناف القراءة، لا بنية الإعراض عنها.

والأصل في الوقف الإسكانُ؛ لأن العرب لا تقف علىٰ متحرِّك، ولأنَّ السكون أخف من الحركة، ولأنَّ جلَّ كيفيَّات الوقف تؤول إليه.

وقد تفرَّع عن الإسكان كيفيَّاتٌ كثيرة، منها: الوقف بالروم، والوقفُ بالإشمام، وهما المقصودان بهٰذا المبحث.

أولًا: الروم: هو الإتيان ببعض حركة الحرف الأخير في الكلمة الموقوف عليها بصوت يسمعه القريب دون البعيد.

قال ابن بري:

فالرَّوْمُ إِضْعَافُك صَوْتَ الْحَرَكَهْ ... مِن غَيْرِ أَن يَذْهَب رَأْسًا صَوْتُكَهْ

ولا يُحْكَمُ الرومُ، ولا يُضْبَطُ إلا بالتلقي، والأخذِ من أفواه المشايخ المهرة المتقنين.

ثانيًا: الإشمام: هو إطباق الشفتين بُعَيْد تسكين الحرف الموقوف عليه من غير تصويت.

قال ابن بري:

وَصِفَةُ الْإِشْمَامِ إِطْبَاقُ الشِّفَاه ... بَعْدَ السُّكُونِ وَالضَّرِيرُ لَا يَرَاهْ

فائدة الروم والإشمام: تتمثَّل في بيان الحركة الأصلية التي تثبت في الوصل للحرف الموقوف عليه؛ ليظهر للسامع أو للناظر كيفية تلك الحركة، قال مكي: «اعلم أنَّ الروم والإشمام إنما استعملتهما العرب لتبيين الحركة كيف كانت في الوصل، وأصل الروم أظهر للحركة من أصل الإشمام؛ لأن الروم يُسمع ويُرىٰ، والإشمام يُرىٰ ولا يُسمع».

مواضع الروم والإشمام: يدخل الرومُ المضمومَ والمرفوعَ بحركةٍ أصليَّةٍ، والمكسور والمجرور كذٰلك، ويدخل الإشمامُ المضمومَ والمرفوعَ فقط، وأما المفتوح والمنصوب فلا يدخلهما رومٌ ولا إشمام عند القرَّاء.

والموقوف عليه بالسكون العارض - سواء أكان معربًا أم مبنيًّا - إما أن يكون مسبوقًا بحرف مدِّيٍّ، وإمَّا أن يكون مسبوقًا بغيره، وإذا كان مسبوقًا بحرفٍ مدِّيٍّ فهو علىٰ نوعين:

الأول: غير مهموز: له ثلاث صور، هي:

١. ما حركة الحرف الأخير منه فتحة؛ نحو: ﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، يجوز في مثل هٰذا وقفًا ثلاثةُ أوجه: القصرُ بمقدار حركتين، والتوسطُ بمقدار أربع حركات، والطولُ بمقدار ست حركات على السكون المحض، ولا يدخله روم ولا إشمام.

٢. ما حركة الحرف الأخير منه كسرة؛ نحو: ﴿ٱلدِّينِ﴾، فيجوز في مثل هٰذا أربعةُ أوجه: القصر، والتوسط، والطول، على السكون المحض، والقصر مع الروم.

٣. ما حركة الحرف الأخير منه ضمة؛ نحو: ﴿نَسْتَعِينُ﴾، فيجوز في مثل هٰذا وقفًا سبعةُ أوجه: القصر، والتوسط، والطول على السكون المحض، ومثلها مع الإشمام، والقصر مع الروم؛ لأن الروم يكون في الوجه الذي يأتي وصلًا.

الثاني: مهموز: علىٰ ثلاث صور، هي:

١. حركة الحرف الأخير فتحة؛ نحو: ﴿جَآءَ﴾، فيجوز في مثل هٰذا وقفًا من طريق الشاطبية وجهان: التوسُّط بمقدار أربع حركات، والطول بمقدار ست حركات علىٰ السكون المحض؛ لتقوِّي الهمز فيه بالسكون العارض، ولا يدخله روم ولا إشمام.

٢. حركة الحرف الأخير كسرة؛ نحو: ﴿ٱلسَّمَآءِ﴾، فيجوز في مثل هٰذا وقفًا من طريق الشاطبية ثلاثة أوجه: التوسط، والطول على السكون المحض، والتوسط مع الروم.

٣. حركة الحرف الأخير ضمة؛ نحو: ﴿ٱلسُّفَهَآءُ﴾، فيجُوز في مثل هٰذا وقفًا من طريق الشاطبيَّة خمسة أوجه: التوسط، والطول على السكون المحض، ومثلهما علىٰ الإشمام، والتوسط مع الروم.

وإذا كان الموقوف عليه غير مدٍّ عارض للسكون فهو علىٰ ثلاث صور، هٰذا بيانها:

١. حركة الحرف الأخير فتحة، نحو: ﴿لاَ وَزَرَ﴾، فلا يجوز في مثل هٰذا عند الوقف إلا السكون المحض.

٢. حركة الحرف الأخير كسرة، نحو: ﴿عَرْشِكِ﴾، فيجوز في مثل هٰذا وقفًا وجهان: السكون المحض، والروم.

٣. حركة الحرف الأخير ضمة، نحو: ﴿ٱلْحَمْدُ﴾، فيجوز في مثل هٰذا وقفًا ثلاثة أوجه: السكون المحض، والروم، والإشمام.

ما لا يدخله الروم، ولا الإشمام: هناك خمسة أشياء لا يدخلها الروم، ولا الإشمام باتِّفاق القراء، وشيءٌ فيه بالخلاف، فأمَّا التي لا يدخلها باتِّفاقهم فهي:

الأول: الساكن، سواء كان سكونه سكون بناءٍ، أو سكون إعراب.

الثاني: المفتوح والمنصوب كذٰلك.

الثالث: هاء التأنيث، التي تكون في الوصل تاءً، ويوقف عليها بالهاء، نحو: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ﴾.

الرابع: ميم الجمع، الموصولة بالواو اللفظيَّة عند من قراءته كذٰلك، نحو: ﴿عَلَيْهِمْ غَيْرِ﴾.

الخامس: عارض الشكل، نحو: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ﴾، فعند الوقف علىٰ: ﴿قُلْ﴾، لا يجوز إلا وجه واحد، هو السكون المحض؛ لأنَّ حركة اللام في حال الوصل عارضة، جيء بها للتخلُّص من التقاء الساكنين.

أمَّا الذي يدخله الروم والإشمام بالخلاف فهو هاء الضمير المعروفة بهاء الكناية، فقد انقسم فيه أهل الأداء علىٰ ثلاثة مذاهب: مجيز مطلقا، ومانع مطلقا، ومجيز في أحوالٍ ومانع في أحوالٍ أُخَرَ.

وهٰذا الأخير هو ما يعرَفُ بمذهب التفصيل، وبيانه كما يأتي:

أ. بالنظر إلىٰ ما قبل هاء الكناية وُجِدَ أنَّها تأتي علىٰ تسعة أحوال:

الأولىٰ: قبلها ضمة؛ نحو قوله: ﴿ يَعْلَمْهُ ﴾.

الثانية: قبلها واوٌ مديَّة، نحو قوله: ﴿ قَتَلُوهُ ﴾.

الثالثة: قبلها واوٌ ليِّنة، نحو قوله: ﴿ وَشَرَوْهُ ﴾.

الرابعة: قبلها كسرةٌ، نحو قوله: ﴿ وَزَوْجِهِ ﴾.

الخامسة: قبلها ياءٌ مديَّة، نحو قوله: ﴿ فِيهِ ﴾.

السادسة: قبلها ياءٌ ليِّنة، نحو قوله: ﴿ إِلَيْهِ ﴾.

السابعة: قبلها فتحة، نحو قوله: ﴿ نَفْسَهُ ﴾.

الثامنة: قبلها ألف، نحو قوله: ﴿ اِجْتَبَاهُ ﴾.

التاسعة: قبلها حرف صحيح ساكن، نحو قوله: ﴿ فَلْيَصُمْهُ ﴾.

والذي عليه المعوَّل مَنْعُ دخولِ الروم والإشمام في الأحوال الستَّة الأُوَلِىٰ، وجواز دخولهما في الأحوال الثلاثة الأَخيرة.

تنبيهان:

١. ما رسم بالتاء المبسوطة: إذا كانت التاء مضمومة؛ نحو: ﴿ بَقِيَّتُ ﴾؛ جاز فيها ثلاثة أوجه: السكون المحض، والروم، والإشمام، وإذا كانت التاء مكسورة؛ نحو: ﴿ رَحْمَتِ ﴾؛ جاز فيها وجهان: السكون المحض، والروم.

٢. يقصد بالمرفوع والمنصوب والمجرور الْمُعرب بالعلامات الأصليَّة. ويُقصَدُ بالمضموم والمفتوح والمكسور المبني.



المبحث الثاني عشر:
«الوقف علىٰ مرسوم الخط»

مفهومه: هو قطع الصوت علىٰ نهايات ما خالفَ الرسمَ القياسيَّ ممَّا أجمع الصحابة ﭫ علىٰ كتابته في زمن عثمان ﭬ في المصاحف المشتهرة بالمصاحف العثمانية.

أقسام الخط: ينقسم الخط أو الكتابة إلىٰ قسمين: قياسي، واصطلاحي، **فالقياسي:** ما طابق فيه الخطُّ اللفظَ، **والاصطلاحي:** ما خالف الرسمَ القياسيَّ بزيادة، أو حذفٍ، أو بدلٍ، أو وصلٍ، أو فصلٍ.

مذهب الإمام قالون فيه: أثبتت الرواية أن قالون عن نافع كان يُعْنىٰ ويهتم بمتابعة خط المصاحف العثمانية عند الوقف على الكلمة القرآنية، في حالتي الاختبار والاضطرار، وكذٰلك في حالة التعليم، وبيانُ ذٰلك كما يأتي:

١. وقف قالون بالتاء ساكنة من غير إبدال علىٰ ما كتبت فيه تاء التأنيث المتحرِّكة مبسوطة، نحو: ﴿رَحْمَتَ﴾ في مواضعها المعلومة، ونحو: ﴿نِعْمَتَ﴾، وهلَّمَ جرًّا.

وحجَّته في الوقف بالتاء علىٰ هاتين الكلمتين وأشباههما اتِّباعُ رسْمِ المصحف، والتأكيدُ علىٰ فصاحة من كان يقفُ علىٰ تاء التأنيث المتحرِّكة بالتاء ساكنة، وهي لغة طيِّئ.

٢. وقف قالون بالتاء ساكنة من غير إبدال علىٰ نهاية: ﴿يَٰأَبَتِ﴾، في جميع مواضعها في القرآن الكريم، ووقف كذٰلك بالتاء علىٰ: ﴿هَيْهَاتَ﴾، و﴿مَرْضَاتَ﴾، و﴿ٱللَّٰتَ﴾، و﴿ذَاتَ﴾، و﴿لَاتَ﴾.

٣. وقف قالون على اللام من: ﴿مَالِ﴾، في قوله تعالىٰ: ﴿فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثاً﴾، بالنساء، وكذا نظائرها في الكهف، والفرقان، والمعارج. وسبب ذٰلك إرادة التنبيه على الأصل الأوَّل في عرف الكتابة الإملائيَّة، وهو أن تستقلَّ كلُّ كلمةٍ بذاتها في الرسم، واللام الجارَّةُ نوعٌ من أنواع الكلام؛ لأنها حرفٌ من حروف المعاني.

٤. وقف علىٰ: ﴿كَأَيِّن﴾، في جميع مواضعها بإثبات النون، وفاقا لرسمها في المصحف.

٥. وقف على الهاء ساكنةً في: ﴿أَيُّهَ﴾، محذوفة الألف في مواضعها الثلاثة المعلومة؛ متَّبعًا في ذلك رسمَ المصحف.

٦. وقف على النون في: ﴿وَيْكَأَنَّ﴾، وعلى الهاء في: ﴿وَيْكَأَنَّهُ﴾، في قوله تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْاْ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾؛ متَّبعـًا في ذلك رسمَ المصحف كذلك.

٧. وقف على: ﴿مَّا﴾ في: ﴿أَيًّا مَّا﴾، في قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾.

٨. وقف على (ما الاستفهاميَّة) محذوفة الألف بسبب دخول أحرف الجرِّ عليها في نحو: ﴿عَمَّ﴾ و﴿مِمَّ﴾ في قوله تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ﴾، وقوله: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ﴾.

تنبيهات:

١. الوقف على ما سبق من الكلمات؛ إنما يكون على سبيل الاضطرار، أو الاختبار، لا على سبيل الاختيار؛ إذ ليس الوقف على ذلك تامًّا ولا كافيًا، وإنما هو وقف ضرورةٍ وامتحانٍ وتعريفٍ، لا غير.

٢. مع اتِّفاق رسم المصاحف العثمانيَّة مع قواعد الرسم القياسيِّ على حذف الألف من (ما) الاستفهاميَّة إذا دخل عليها حرفُ جرٍّ ؛ فإنَّ علماء القراءات يُدرجون هذا الأمر ضمن باب مرسوم الخط؛ بسبب وقْف جُلِّ القراء على هذه الميم ساكنةً، وفاقـًا لرسمها في المصحف، ووقْفِ بعضهم عليها باستجلابِ هاء السكت عَقِبَهَا.

٣. ينبغي أن يُعلمَ جوازُ الوقف على ما انفصل رسمـًا من نحو: ﴿أَن لَّآ﴾، و﴿فِى مَا﴾، و﴿كَىْ لَا﴾، في مواضعها المعلومة المنصوص عليها في كتب الرسم، وعدمُ جوازِ الوقف على ما اتَّصل رسمـًا من نحو: ﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ﴾ بهود، و﴿أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ﴾ بالقيامة.

كما ينبغي أنْ يُعلم أنَّ عدم إدراج ما انفصل رسمـًا وما اتَّصل كذٰلك ممَّا خالف فيه رسمُ المصحفِ الرسم القياسيَّ في هٰذا الباب مردُّه إلىٰ عدم اختلاف القراء العشرة فيهما، فلم يعهَدْ عن أحدٍ وقفهُ علىٰ أحد جزئيْ ما اتَّصل من نحو: ﴿ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ ﴾، أو عدمُ وقْفِ أحدهم علىٰ نهاية الجزء الأول ممَّا انفصل رسمًا، من نحو: ﴿ أَن لَّآ ﴾، و﴿ فِے مَا ﴾.

٤. لا يجوز الابتداء باللام دون (ما) من: (مال) في مواضعها الأربعة، ولا بـ(ما) دون (أيًّا)، في (أيًّا مَّا تدعوا)، عند من مذهبه جواز الوقف علىٰ (ما) فيهما.

٥. ذهب ابنُ الجزري إلىٰ أنَّ الأرجح والأقرب للصواب جواز الوقف لجميع القراء علىٰ (ما) وعلى اللام من (مال) في مواضعها الأربعة، وعلىٰ (أيا) دون (ما) وعلىٰ (ما) كذٰلك؛ لانفصالهما رسما.



المبحث الثالث عشر:
«ياءات الإضافة»

تعريفها: هي الياء الزائدة الدالة على المفرد المتكلِّم، فخرج بالزائدة الأصليَّةُ، في نحو: ﴿ٱلدَّاعِىَ﴾ و﴿يَأْتِىَ﴾، وخرج بالدالة على المتكلم الياءُ في جمع المذكر السالم في نحو: ﴿عَابِرِى﴾، وياء المؤنثة المخاطبة في نحو: ﴿ٱقْنُتِى﴾.

وتتصل هٰذه الياءُ بأقسام الكلمة الثلاثة: الاسم، نحو: ﴿رَبِّىَ﴾، والفعل، نحو: ﴿لِيَبْلُوَنِىٓ﴾، والحرف، نحو: ﴿لَّعَلِّىٓ﴾.

علامتها: إذا التبست ياءُ الإضافة بغيرها فينظر إلى اللفظ الذي هي فيه، فإن كان يصلح إحلالُ كاف الخطاب، أو هاء الغيبة محلَّها فهي ياء إضافة، وإن لم يصلح أن يحلَّ محلَّها كافُ الخطاب، أو هاءُ الغيبة فليست بياء إضافة، فمثال ما يصلح إحلالُ الكاف والهاء محلها قوله تعالىٰ: ﴿فَطَرَنِى﴾، فإنَّه يجوز مجيءُ الكاف والهاء محل الياء، فيقال: (فَطَرَكَ)، و(فَطَرَهُ)، ومثال ما لا يصلح إحلال الكاف والهاء محلها قوله تعالىٰ: ﴿ٱلدَّاعِىَ﴾، فلا يصح أن يقال: (الدَّاعِكَ)، أو (الدَّاعِهُ).

أقسامها: تنقسم ياء الإضافة بالنسبة لما بعدها إلىٰ ستة أقسام:

القسم الأول: أن تأتي بعدها همزة قطع مفتوحة: فتح قالون ياء الإضافة الواقعة بعدها همزة قطع مفتوحة، إلا ثماني كلمات في تسعة مواضع رواها بالإسكان، وهي: **الأولىٰ**: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ﴾، بالبقرة. **الثانية**: ﴿أَرِنِىٓ أَنظُرْ﴾، بالأعراف. **الثالثة**: ﴿وَلَا تَفْتِنِّىٓ أَلَا﴾، بالتوبة. **الرابعة**: ﴿وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن﴾، بهود. **الخامسة**: ﴿فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ﴾، بمريم. **السادسة**: ﴿أَوْزِعْنِىٓ أَنْ﴾، بالنمل، والأحقاف. **السابعة**: ﴿ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ﴾، **الثامنة**: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ﴾، كلتاهما بغافر.

القسم الثاني: أن تأتي همزة قطع بعدها مكسورة: فتحَ قالون ياءات الإضافة الواقعة بعدها همزة قطع مكسورة بالفتح، إلا عشرة مواضع روىٰ ياءاتها بالإسكان، وموضعًا له في يائه الخُلف.

فأما المواضع التي روىٰ ياءاتها بالإسكان فهي: **الأول:** ﴿أَنظِرْنِي إِلَىٰ﴾، بالأعراف. **الثاني:** ﴿يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾، **الثالث:** ﴿إِخْوَتِي إِنَّ﴾، كلاهما بيوسف. **الرابع، والخامس:** ﴿فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ﴾، بالحجر، وص. **السادس:** ﴿يُصَدِّقْنِي إِنِّي﴾، بالقصص. **السابع:** ﴿وَتَدْعُونَنِي إِلَى﴾، **الثامن:** ﴿تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾،كلاهما بغافر. **التاسع:** ﴿ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ﴾، بالأحقاف. **العاشر:** ﴿أَخَّرْتَنِي إِلَى﴾، بالمنافقون.

أما الكلمة المختلف فيها فهي في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي﴾، بفصلت، والفتح هو المُقدّم.

القسم الثالث: أن تأتي بعدها همزة قطع مضمومة: فتحَ قالونُ ياءاتِ الإضافة الواقعة بعدها همزة قطع مضمومة إلا كلمتين رواهما بإسكان الياء؛ لإجماع القراء علىٰ إسكانها فيهما. **الأولىٰ:** ﴿بِعَهْدِي أُوفِ﴾، بالبقرة. **الثانية:** ﴿ءَاتُونِي أُفْرِغْ﴾، بالكهف.

القسم الرابع: أن تأتي بعدها همزة وصل مقترنة بلام التعريف: روىٰ قالونُ ياءاتِ الإضافة الواقعة بعدها همزة وصل مقترنة بلام التعريف بالفتح في جميع المواضع قولًا واحدًا، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿ءَاتَيٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ﴾، بمريم.

القسم الخامس: أن تأتي بعدها همزة وصل مجردة من لام التعريف: فتحَ قالونُ ياءات الإضافة الواقعة بعدها همزة الوصل المجردة من لام التعريف، إلا في ثلاثة مواضع رواها بالتسكين. **الأول:** ﴿إِنِّي ٱصْطَفَيْتُكَ﴾، بالأعراف. **الثاني:** ﴿أَخِي ٱشْدُدْ﴾، بطه. **الثالث:** ﴿يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذتُّ﴾، بالفرقان.

القسم السادس: أن يأتي بعدها حرف هجاء غير الهمز، وجملة هٰذه الياءات ثلاثون ياءً مختلفًا فيها بين أهل الأداء من حيث الفتحُ والإسكان، وقد سكَّنها قالونُ فيما عدا سبع ياءات، رواها بالفتح في سبعة مواضع:

أولُها وثانيها: ﴿بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ﴾، بالبقرة، والحج. **ثالثُها:** ﴿وَجْهِيَ لِلَّهِ﴾، بآل عمران. **رابعها:** ﴿وَجْهِيَ لِلَّذِي﴾. **وخامسها:** ﴿وَمَمَاتِيَ لِلَّهِ﴾، كلاهما بالأنعام. **سادسها:** ﴿وَمَالِيَ لَا أَعْبُدُ﴾، بيس. **سابعها:** ﴿وَلِيَ دِينِ﴾، بالكافرون.

تنبيهُ: وقع الخلاف بين القراء فيما إذا كان ما قبل الياء متحركـًا، أمَّا إذا كان ساكنا فلا خلاف في فتحها، وذلك في مثل: ﴿بِيَدَيَّ﴾، ﴿لَدَيَّ﴾، ﴿هُدَايَ﴾، ﴿بُشْرَايَ﴾.

المبحث الرابع عشر:
«الياءات الزوائد»

تعريفها: هي الياءاتُ المتطرِّفة الزائدة في التلاوة على رسم المصاحف العثمانية.

الفرق بينها وبين ياءات الإضافة: يَتَجَلَّى الفرقُ بينهما في أربعة أوجُهٍ:

الأول: أن الياءات الزوائد تكون في الأسماء نحو: ﴿ٱلدَّاعِۦ﴾، وفي الأفعال نحو: ﴿يَسْرِۦ﴾، ولا تكون في الحروف.

أمَّا ياءات الإضافة فإنها تكون في الأسماء، والأفعال، والحروف، كما تقدَّم.

الثاني: أن الياءات الزوائد محذوفة من رسم المصاحف، بخلاف ياءات الإضافة، فإنها ثابتة فيها.

الثالث: أن الخلاف الدائر بين القراء في الياءات الزوائد دائرٌ بين الحذف والإثبات. أما ياءاتُ الإضافة فإن الخلاف فيها دائرٌ بين الفتح والإسكان.

الرابع: أن الياءات الزوائد تكون أصلية وزائدة، وذلك في نحو: ﴿ٱلْمُنَادِۦ﴾، و﴿أَكْرَمَنِۦ﴾. أما ياءاتُ الإضافة فإنها لا تكون إلا زائدة.

مذهب الإمام قالون في الياءات الزوائد: له في الياءات الزوائد الإثباتُ وصلًا، والحذفُ وقفًا، إلا في ثلاث كلمات، روى اثنين منها بالإثبات وبالحذف وصلًا، ورواهُما بالحذف وقفًا، وله في الكلمة الثالثة إثباتُها محرَّكة بالفتح وصلًا، وإثباتها وحذفها وقفًا، وهذا بيان لها:

أولًا: ما أثبته وصلًا وحذفه وقفًا: أثبت قالون الياءات الزوائد وصلًا، وحذفها وقفًا في الكلمات الآتية: ﴿ٱتَّبَعَنِۦ﴾، بآل عمران. ﴿يَأْتِۦ﴾، بهود. ﴿أَخَّرْتَنِۦ﴾، بالإسراء. ﴿ٱلْمُهْتَدِۦ﴾، بالإسراء، والكهف. ﴿أَن يَهْدِيَنِۦ﴾، ﴿إِن تَرَنِۦ﴾، ﴿أَن يُؤْتِيَنِۦ﴾، ﴿نَبْغِۦ﴾، ﴿تُعَلِّمَنِۦ﴾، وجميعها بالكهف. ﴿أَلَّا تَتَّبِعَنِۦ﴾، بطه. ﴿أَتُمِدُّونَنِۦ﴾، بالنمل. ﴿ٱتَّبِعُونِۦ﴾، بغافر. ﴿ٱلْجَوَارِۦ﴾، بالشورى. ﴿ٱلْمُنَادِۦ﴾، بق. ﴿إِلَى ٱلدَّاعِۦ﴾، بالقمر. ﴿يَسْرِۦ﴾، ﴿أَكْرَمَنِۦ﴾، ﴿أَهَانَنِۦ﴾، وثلاثتها بالفجر.

وسببُ إثباته هٰذه الياءات في الوصل مراعاةُ الأصل؛ إذ الأصل في ﴿نَبْغِۦ﴾: (نبغي)، وفي ﴿أَكْرَمَنِۦ﴾: (أكرمني). أمَّا سبب حذفه إيَّاها في الوقف فلأجل مراعاة الرسم، ثمَّ إنَّ الحذف تغييرٌ، والوقف محلُّ التغيير.

ثانيًا: ما أثبته قالون وصلًا محرَّكا بالفتح، وله فيه الخلف وقفًا: أثبت الياء الزائدة وصلًا، وله في حال الوقف الإثبات والحذف، وذٰلك في كلمة واحدة في قوله تعالىٰ: ﴿ءَاتَيْنِۦ ٱللَّهُ﴾، والإثباتُ هو المقدَّم في الأداء، وسبب تخصيصه هٰذا الموضع بالتحريك وصلاً أنَّه الموضع الوحيد الذي أُتبِعتْ فيه الياء بالساكن بعدها، فحرَّكها بالفتح تخلُّصاً من التقاء الساكنين، وللسب نفسه خصَّ هٰذا الموضع بجواز الإثبات والحذف وقفا.

ثالثًا: ما له فيه الخلف وصلًا، والحذف وقفًا: أثبت قالونُ الياءَ الزائدة وحذفها وصلًا، مع حذفها وقفًا في كلمتين بالبقرة، هما: ﴿ٱلدَّاعِ﴾، و﴿دَعَانِ﴾، إلاَّ أنَّ الإثبات حالة الوصل منقولٌ عن رواة غير مشهورين، وعلىٰ هٰذا يكون له في هاتين الكلمتين: الإثبات والحذف وصلًا، والحذف هو المقدم أداءً.

وسببُ تخصيصه هٰذا الموضع بإثبات الياء فيه وصلاً وحذفِها كذٰلك أنَّ هٰذا الموضع جمع بين كون الياء أصليَّةً في: ﴿ٱلدَّاعِ﴾، وزائدة في: ﴿دَعَانِ﴾، وكون الأول منهما اسمـًا، والثَّاني فعلاً، فلمَّا جمع بين أصول الباب جمع بين الوجهين.

تنبيهٌ: نُقل عن قالون أنَّهُ روىٰ إثبات الياء وصلًا، وحذْفَها وقفا في كلمتين بغافر، هما قول تعالىٰ: ﴿ٱلتَّلَاقِ﴾، وقوله تعالىٰ: ﴿ٱلتَّنَادِ﴾، لٰكنَّ الذي عليه المحققون أنه ليس لقالون فيهما من طريق الشاطبيَّة إلا الحذف وصلًا ووقفًا، فيقتصر له عليه فيهما.

والله أعلم.



الخاتمة:

وبعد: فهٰذا ما تيسر – بعون الله – جمعه وتهذيبه، وتنظيمه وتبويبه من فروع المنهج العلمي، لأبنائنا طلاب حلق ومراكز تحفيظ القرآن الكريم، وَفْقَ رواية الإمام قالون عن الإمام نافع المدني – رحمهما الله –، وحسبنا أننا أخلصنا فيه النيَّة فيما نحسبُ، وبذلنا الجهد، فما كان فيه من الصواب والإجادة، فبِمَنِّ الله – تعالىٰ – وإعانته وتيسيره وتوفيقه، وإن كان غير ذٰلك فمن أنفسنا، فنستغفر الله العظيم من ذٰلك ونتوب إليه، ونسأله العفو والعافية.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك علىٰ عبده ورسوله سيدنا ونبينا محمد، وعلىٰ آله وصحبه والتابعين، ومن اقتفىٰ أثره واستن بسنته إلىٰ يوم يبعثون.

لجنة إعداد المناهج العلمية



فهرس الموضوعات



نبـذة عن الكتـاب

أَمَرَ الله عز وجل بترتيل القرآن فقال: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾، وبيّن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فضل متقن تلاوته بقوله: "الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة"، ولا يُمتثل ذاك الأمر ولا يتحقّق هذا الفضل إلا بتعلُّم القرآن وقراءته مرتلًا مُجودًا (تلاوةً وأداءً)؛ وذلك عن طريق الإحاطة بأحكام التجويد ومعرفة أصول الراوية، فالترتيل أسلوب قرآني فريد يعتمد على تصحيح الحروف، وإجادة الوقوف، مع حُسن الصوت، وجمال النُطق، وجودة الأداء، وقد كُتب هذا (**المنهج العلمي في أحكام التجويد وأصول رواية الإمام قالون**)؛ من أجل تسهيل أحكام التجويد وبيان أصول هذه الرواية لطلاب مراكز التحفيظ وحلق القرآن.

لجنة إعداد المناهج.

المنهج العلمي في أحكام التجويد وأصول رواية الإمام قالون

إدارة شؤون القرآن الكريم والسنة النبوية

